

# المقتطف

الجزء الثالث من المجلد الرابع بعد المائة

١ مارس سنة ١٩٤٤

٦ ربيع اول سنة ١٣٦٣

## بعد الحرب ... ماذا ؟

١ - فترة الانتقال

لا بدّ من فرض فرضين . أما الاول فهو أن الدول المتحدة ستكسب الحرب في الميدان . وأما الثاني فهو أنها تملك الفكر النير والادراك الصحيح والعزم الصادق على المضي بعهد الظفر الحربي ، في طريق التعاون الصحيح ، لكسب السلام والسعي القويم لانشاء عالم أفضل من العالم الذي هوى ولن يقوم . ففي المرة الماضية كسب الحلفاء الحرب في الميدان ، ثم خسروا السلام ، ففوق أنقراض الحرب العالمية الاولى شيد الناس صرحاً نفخاً ، عمروه بآمالهم ومنامهم ، وكان هدفها جميعاً توطيد أركان السلام ، وترسيخ اصول الحكم الشعبي وتعميمها ونشر العدل الاجتماعي القومي والدولي . وجاءت فترة طابرة ، بدا فيها أن بعض الأمم على الأقل سائر قدماً الى تحقيق بعض هذه المني

ولكن لم تكد تنقضي سنوات حتى كانت الآمال منهارة ، معفرة بتراب المطامع ، ملفوفة بأكفان سداها ضعف العزم ، ولحمتها قصر النظر . وهذه فرصة اخرى ، يلوح أنها ستتاح للإنسانية بعد جيل . وليس ثمة مشقة في التسليم بالفرض الاول استناداً الى اتجاه الحرب العام خلال السنة الاخيرة . ولكن التسليم بالفرض الثاني يحوطه بعض التحفظ على الأقل . نعم ان احتمال التعاون بعد هذه الحرب اعظم منه بعد الحرب الماضية . ومواقف الولايات المتحدة من هذا التعاون الآن مختلف اختلافاً كبيراً عن موقفها منه بعد الحرب العالمية الاولى . وليس بخاف ما يعد الآن من عدة وما يخطط لتطبيقها تطبيقاً



مشتركا بعد الحرب . وقد نحسن الظن فنعلم الى الاعتقاد بأن العبرة المستخرجة من السلام المضيق بعد الحرب الماضية لم ينت مغزاها على القادة والشعوب . ومع ذلك لا بد ان يبقى التعاون الصادق بعد هذه الحرب فرضاً حتى يقوم الدليل العملي الناطق عليه بعد ما يرتفع كابوس الخطر الذي يهدد الكيان ، ويؤلف الآن بين العزائم والقلوب

وليس ثمة ريب في ان الطريق الوحيد الى انشاء سلام وطيد الأركان هو طريق التعاون الدولي تعاوناً صادقاً مستمراً . وهذا الطريق وعمر طويل ومن السهل أن نحدق الى العقبات التي تعترض السير في هذا الطريق ، وأن ننقاد لقول القائلين بأن تذليلها مستحيل . والعقبات كثيرة حقاً ، والتغلب عليها يقتضي تفكيراً قوياً وإدراكاً صحيحاً لطبيعة العمران الحديث ، وشجاعة لا تتثنى والمثنون أمام الصعاب بغير محاولة هم دعاة الطريفة في معركة السلام ، ويحقّ عليهم ما يحقّ على دعاة الطريفة في اثناء الحرب . على إن تحقيق الأمل لا يتم بين ليلة وضحاها ، بل هو جهاد مستمر ، فنحن حيال هذه المشكلات في حاجة الى تربية مستمرة مطردة سعةً وسمواً الى معي صادق لا يفتر

في حدود هذين الغرضين والاعتبارات المتصلة بهما نحاول بحث بعض المشكلات التي لا بد من مواجهتها بعد الحرب . وهذه المشكلات طائفتان بوجه عام . الاولى ما كان له صلة بالاحوال القائمة في شتى البلاد ، حين تضع الحرب أوزارها . والثانية ما كان لها صلة بالانشاء هيئة دولية تنظم السلام وتشرف على حفظه وتوفير الاحوال التي يزكو فيها اصله ويورق فرعه ، وهي مشكلة طويلة الأمد . وقد عهد معهد كرنيجي للسلم الدولي الى لجنة من المفكرين والخبراء المستقلين رأياً ونزعةً سياسيةً ، في بحث هذا الموضوع وتوضيحه ، فقالت في تقريرها : « حالما تنتهي الحرب ستواجه جماعة الأمم مهمتين منفصلتين ، ولكنهما متفاعلتان ، ولا بد من التأهب لهما قبل أن ينصبّا على عالم نهكته الحرب وهزه عود السلام فراح لا يقيم وزناً كبيراً لضرورات الحال الجديدة . اما المهمة الاولى فهي مشكلة التعبير السياسي والمادي والروحي في البلاد التي هوت عليها كف الحرب ثقيلة مدمرة . وأما المهمة الثانية فالانشاء نظام دولي دائم »

تشتمل المهمة الاولى على ثلاث طوائف من المشكلات نستطيع أن نصفها بالمشكلات الاجتماعية ، والمشكلات الاقتصادية ، والمشكلات الحربية السياسية ، وهذا تقسيم يقصد التيسير . والاّ فإن هذه المشكلات ليست منفصلة بعضها عن بعض . فالمشكلات الاجتماعية ، كتوفير المأكل للجياع والاهزال ، وتوفير الملابس للعراة او من في حكم العراة ، والأدوية للمرضى متصلة اوثق اتصال بالمشكلات السياسية مثل قيام الحكومات وقدرتها على حفظ الأمن وتمهيد الطريق لاستئناف الحياة السياسية الرشيدة ، ومتصلة كذلك اوثق



اتصال بالمشكلات الاقتصادية ، وبخاصة العودة الى الانتاج الزراعي والاقتصادي السوي ،  
فقدرة الناس على العمل هي رأس المال الأساسي في كل عهد وكل حضارة

وبين المشكلات الاجتماعية التي لا بد من التأهب لمواجهةها نجد في المقام الأول مشكلة  
المبادرة الى إغاثة الشعوب الخارجة على سقم من سعي الحرب . فلا بد من وضع الخطط التي  
تكفل مقاومة الجوع والمرض مقاومة عاجلة فعالة ، وجميع الدلائل تدل على ان المرض  
سيكون بعد هذه الحرب ، كما كان بعد الحروب السابقة ، أفتك بالناس من الأسلحة .  
وستصمت المدافع حين يصدر الأمر بكف القتال ، ولكن نار المرض ستضي ملتهمة حاصدة  
مادامت الأحوال مضطربة ، وما دام الناس لا يقوون على المقاومة ، وما دام العلاج عزيزاً  
والأحوال التي تصعب الحروب وتساعد على انتشار الأوبئة قائمة ، وهي سوء التغذية  
والجوع ، وترحيل طوائف كبيرة من الناس من بلد الى بلد ، كترحيل الاسرى والمعتقلين  
أو ترحيل العمال ، وقلة وسائل العلاج واضطراب الأحوال الاجتماعية . ومواجهة هذه  
المشكلة الضخمة لا يمكن ان تلقى على كاهل الهيئات المتطوعة . ولا بد من أن تتأهب  
لها الحكومات فتخصص لها أموالاً طائلة ، وتوفر لها أسباب النقل

ومن حسن الحظ وبواعت الرضى والثقة بالمستقبل أن الدول المتحدة قد ادركت  
التبعة العظيمة الواقعة على كاهلها في علاج هذه المشكلات ، وانضمت اليها دول ليست محاربة  
تسعى بضرورة مشاركتها في تحمل نصيبها من هذه التبعة . فأنشئت الهيئة الدولية للاعانة  
والنعمير ، وقد ضم مؤتمرها مثلي أربع وأربعين دولة يبلغ عدد سكانها ، أربعة أخماس  
سكان الكرة الأرضية . وللدلالة على ضخامة المشكلات التي تعالجها هذه الهيئة ، أقول ان  
الخبير البريطاني السير فردريك ليث روس وضع بياناً مفصلاً عما تحتاج اليه بلاد القارة  
الاوربية لا غير من مقادير الطعام في الستة الأشهر الأولى التي تلي وقف الحرب ، فإذا هو  
يحتاج الى سفن أو وسائل نقل أخرى مجموع حمولتها ثلاثة وعشرون مليوناً ونصف مليون  
من الأطنان . فهمة هذه الهيئة هي تدبير هذه المقادير تأهباً لتوزيعها ، ثم تدبير السفن  
ووسائل النقل اللازمة لنقلها ، ثم نقلها وتوزيعها على أساس من العدل ، والحاجة كما يقرها  
خبراء التغذية . وما يقال في المأكل يقال في اللبس والدواء وإعادة المرحلين واللاجئين الى  
أوطانهم ويقدر عددهم بعشرين مليوناً على الأقل في أوربة وحدها

أما الطائفة الثانية فهي المشكلات الاقتصادية ، ومنها تدبير عمل للجنود المرحلين ،  
وتحويل المصانع التي لا تخص من انتاج الحرب الى انتاج السلام ، وتوزيع المواد الخام  
اللزومة للصناعة ، ، وتدبير حل معقول للنساء اللواتي تعودن الانتاج والكسب في اثناء



الحرب ، وثبتت النقد بحيث تنظم المعاملات التجارية بين بلاد الارض على أساس نظام مستقر أو مائل الى الاستقرار ، وتنظيم المواصلات البحرية والجوية ، وتحويلها من أغراض النقل الحربي الى النقل السلمي . وكل مشكلة من هذه المشكلات تحتاج الى بحث دقيق وإلى تعاون وثيق لكي تحل ، ولا تحل ارجحاً

وأخيراً هناك طائفة ثالثة من هذه المشكلات تتصل بالنظام السياسي في البلدان التي تحتلها الجيوش الحليفة عقب نهاية الحرب مباشرة ، أو عقب استردادها من المحور قبل أن تنتهي الحرب . وهذه البلدان لا بد أن تبقى مدة ما في حكم البلاد المحتلة احتلالاً عسكرياً ، أي تبقى خاضعة لقيادة الجيش المحتل . ولكن العالم في حاجة من هذه الناحية الى مبدأ جديد . فهذه الحرب حرب عالمية كما لا يخفى . والجهد الحربي الذي تبذله الدول المتحدة جهد مشترك . وهذا يقتضي أن يكون عمل التعمير السياسي والاقتصادي في البلاد المحتاجة عملاً مشتركاً ولا بأس في أن تتولاه دولة ما ، ولكن على شرط أن تتولاه باسم الدول المتحدة جميعاً ، ووفقاً للمبادئ والخطط التي أقرت لمثل هذه الحالة . ففرض على الدول المتحدة منذ الآن أن تضع القرارات الخاصة بطبيعة الادارة والمبادئ التي تتبع فيها والمراحل التي تجوزها كل أمة في عودتها التدريجية الى الحياة السياسية السوية والحكم القومي ، وأن يعد الرجال لتولي هذه التبعات

هذا طرف يسير جداً من المسائل التي يجب أن تعالج حين تنتهي الحرب ، حتى قبل انتهائها — مثلاً في البلاد التي تُرفع يد الغاصب عنها . وارجاء معالجتها على أسس من الحزم والعدل والانسانية يكون باعثاً من بواعت الاضطراب والفوضى حتماً . فمعالجتها لا يمكنها أن تنتظر انشاء هذه الهيئة انشاءً متدرجاً نمواً وقوة وسعة اختصاص . ولذلك يكاد يجتمع الرأي على أن تكون هناك فترة تطول أو تقصر بين نهاية الحرب — أي عقد الهدنة العسكرية — وبين عقد معاهدة الصلح ، ومدتها تتفاوت في رأي الباحثين من ٥ سنوات الى ٢٥ سنة

فأوربة بعد الحرب ، وكثير من البلاد الأخرى ، ستكون أشبه ما يكون بمقاطعة أصابها الزلزال وطمغى عليها السيل وفشا فيها الوباء . فيجب أن يوجه الاهتمام الاول الى حفظ الأمن وغوث المنكوب واصلاح الخراب . وفترة الانتقال يجب أن تكون كافية لعلاج هذه المشكلات التي لا يمكن أن ترجأ معالجتها ، ولخمود العواطف المشبوبة ولتهيئة الظروف الاجتماعية والاقتصادية والنفسية لكتابة وثيقة السلام والحرية والرضاء التي ترنو البشرية اليها ، ولتنفيذها . وبغير أن تهيأ هذه الظروف جميعاً قد تكتب الوثيقة ، وقد تكون غاية في البلاغة والاحكام ، ولكنها تبقى حبراً على ورق



## ٢ - تنظيم السلام

كان رجال الفكر والاجتماع والسياسة الذين تعنيهم أغراض الحرب وقواعد البنين الاجتماعي والسياسي بعدها ، يذهبون في المراحل الأولى من الحرب مذهبين مختلفين ، في ما يتعلق بالأهداف التي تتوخاها الدول المتحدة منها . أما المذهب الأول فقوامه ضرورة اعلان الأهداف ، واقتناع الناس ، بصدق النية على تحقيقها ، وأما الثاني فقوامه تقديم الاهتمام بكسب الحرب ، وضرورة صرف الجهد والعزم الى هذا الاهتمام . فكسب الحرب في رأي أصحاب هذا الرأي هو الغرض المقدم على غيره من الاغراض . فكان رد أصحاب المذهب الاول أن اعلان الأهداف ، جزء من السلاح السياسي الماضي الذي يحث الشعوب المتحدة الحرة والمستبد بها ، على بذل كل جهد في سبيل الظفر

وكان النضال ، حين دارت هذه المناقشة ، يحتاز مرحلة دقيقة ، فكانت الحاجة كل الحاجة ، الى حصر الجهد في شؤون الحرب والاعمال الحربية ، ومع ذلك اجتمع روزفلت وتشترشل اجتماعهما المشهور الاول في المحيط الاطلمي - اغسطس ١٩٤١ - فأسفر عن وثيقة « ديمتور المحيط الاطلمي » ، وقد عزز من شأن هذه الوثيقة ما جاء في تصريحات الاقطاب المسؤولين بعد ذلك ، مما وضّح قواعد تلك الوثيقة أو فصلها أو أيدها ، ثم وافقت عليها جميع الدول المتحدة ، وزادها تأييداً ما أسفر عنه مؤتمر موسكو من اعتراف بضرورة المضي في التعاون بعد الحرب وانشاء هيئة عامة ، للسهر على حفظ السلام والسلامة بين الدول . واستخرج مجلس الشيوخ الأمريكي النص الوارد في هذا الصدد ، في تصريح موسكو ، وأدرجه في قرار وافق عليه موافقة تقرب من الاجماع

وكل من غني بالبحث أو بالتأمل في بعض المشكلات التي لا بدّ من مواجهتها بعد الظفر ، سواء أمباشرة كانت تلك المشكلات أم بعيدة الأمد ، يعلم أنها معقدة كل التعقيد وان استيضاحها واعداد خطط لمعالجتها يقتضيان ، على أقل تقدير ، بحثاً مسهباً وثيقاً وتفاهماً على القواعد الأصلية ، وعلى بعض التفاصيل . وبعض هذه المشكلات لا بد من معالجتها ، على الفور ، حين تنتهي الحرب ، بل ربما قبل انتهائها ، في بعض البلاد ، فليس في الوسع ارجاء التأهب لذلك . واليوم أ بكر من غد

على ان فترة الانتقال ، فترة عابرة مهما يطل أمدها ، والوضع فيها وضع شاذ ، مهما يكن ضرورياً ، ولا مفر منه ، والسلام لا يستتب الا اذا عادت الأمم الى الوضع الطبيعي والحياة السوية في نطاق من النظام يضمن لها ثلاثة أغراض ، السلامة والحرة والرخاء . وكل غرض من هذه الأغراض وحدة لا تتجزأ . فسلامة كل أمة جزء أصيل من سلامة



الدول جميعاً . وكل تهديد يوجه الى سلامة أمة ما ، هو تهديد موجه الى سلامة الجميع ، وكذلك حرية كل أمة ، ورخاء كل أمة

فارتقاء الحضارة الحديثة أفضى الى ارتباط الأمم بعضها ببعض ، والى اشتباك مصالحها فأصبحت العزلة النامية في هذا العصر الذي وحدث بين أممه ما أثر العلم ومنتجات الصناعة أمراً مستحيلاً ، وغدت الإقامة في برج عاجي يطل المقيم فيه ، على تيارات الحياة ، بغير أن يتأثر بها ، منافية لاتجاه الحياة نفسها . ولا يزال السلام الطويل الأمد الذي ترنو اليه الانسانية مرتبطاً بالسلامة الحربية المشتركة ، ولا تزال الحرية التي نتطلع اليها متصلة ببيان حقوق جديدة مشتركة ، لجميع الناس على السواء توافق أحوال العصر الحديث ، ولا سبيل الى الرخاء المنشود إلا عن طريق حياة اقتصادية مشتركة

فالمشكلة التي تواجهها الانسانية بعد الحرب ، هي مشكلة انشاء هيئة أو هيئات ، تحل هذا « الاشتراك » مستطاعاً . ويخطيء من يظن ان عقد معاهدات الصلح بعد فترة الانتقال يضع الامر في نصابه ، ويحل المشكلة . فالصلح الذي يضمن في ظله الأمن المشترك والحرية المشتركة والرخاء المشترك ، لا يمكن ان يكون حادناً طارئاً ، كعقد مؤتمر وكتابة معاهدة ، بل هو عمل مستمر وليس عقد المؤتمرات وكتابة المعاهدة إلا توطئة وتمهيداً . فالانشاء الهيئته العامة التي اشار اليها تصريح موسكو ووافق عليها مجلس الشيوخ الأمريكي ، لا بد ان يكون لباب المشكلة الطويلة الأمد التي تواجهها الأمم بعد الحرب . فما يكون قوام هذه الهيئته ؟ وما الركن الذي تقوم عليه ؟ أتكون عالمية بأوسع معنى الكلمة ، أم تكون هناك هيئات كبيرة محلية ، أم تكون بعثاً لعصبة الأمم بعد تعديل ما يجب تعديله فيها ، لتكون أقدر على النهوض بالتبعات الملقاة على كاهلها ؟ أم تكون لونا من الاتحاد السياسي ، تشرف عليه حكومة عالمية ؟

قرأت كثيراً مما كتب في هذا الموضوع . فلم أجد اجماعاً بين اصحاب الرأي ، بل على الضد من ذلك وجدت مشروعات تختلف عن مشروع بعث العصبة الى توحيد الأمم وتوثيق الصلة بينها على اساس الصلات المالية والاقتصادية . وسأعرض بعض هذه المشروعات على أن أشير في نهاية المقال الى ما قد يعد مشروعاً أو أركان مشروع بأحسن مزاياها

أما المشروع الاول فهو مشروع بعث عصبة الأمم . واصحاب هذا المشروع يذهبون الى أن انهيار الاجتماع الدولي بين الحربين العالمية الأولى والعالمية الثانية ، يرجع الى أربعة اخطاء . اولها خيبة العصبة في تعديل فكرة السيادة القومية المطلقة ، وثانيها امتناع الولايات المتحدة الأمريكية عن الاشتراك في العصبة ، والثالث النص في ميثاق العصبة ان قرارات المجلس يجب أن تكون بالاجماع لتكون نافذة المفعول ، والرابع أن العصبة لم تملك القوة



اللازمة لتنفيذ قراراتها . فاصحاب هذا المشروع وضعوا اقتراحات لتصحيح كل هذه الأخطاء الأساسية في كيان العصبة ويعتقدون أن بعث العصبة على هذا الأساس يكون كفيلاً بتحقيق الغرض منها إذا توافرت النية الحسنة والفكر النير والعزم الصادق . وهذه صفات مفروضة فرضاً في كل مشروع لأن كل مشروع مهما يبلغ الكمال منهار من أساسه ، إن لم تتوافر هذه الصفات

وأما المشروع الثاني فهو مشروع الاتحاد . وصاحب نواة هذا المشروع صحفي أمريكي يدعى كلارنس سترايت ، كان زمناً طويلاً مكاتباً لجريدة نيويورك تيمس في جنيف ، وقد راقب أعمال العصبة عن كثب ، وخرج من مراقبته إلى القول بأن رجال السياسة ، كما عرفهم ، عاجزون عن تسوية شؤون الدول تسوية سلمية عادلة لأنهم يحكمونهم بصنائعهم ومنذوبون إلى ضمان المصالح الخاصة بالحكومة التي يمثلونها ، ولذلك اقترح في كتابه « الاتحاد الآن » مشروعاً تفشى بمقتضاه جماعة من الدول المتماثلة في تقاليدها ونظراتها السياسية والاجتماعية ، وهي الديمقراطيات على جانبي المحيط الأطلسي ، اتحاداً كبيراً قوياً على نمط الاتحاد الذي انشأ بين الولايات المتحدة في أول عهدها . فمارس حكومة هذا الاتحاد الوظائف العامة الخاصة بقوة دفاع مشتركة واقتصاد حر مشترك ، خال من الحواجز بين الدول أعضاء الاتحاد ، ونقد واحد ، ونظام مشترك للمواصلات »

وكان هذا الاقتراح قبيل نشوب هذه الحرب ، فبعد نشوبها اقترح سترايت إنشاء اتحاد في الحال بين الولايات المتحدة وجامعة الأمم البريطانية ، على هذه القواعد ثم يوسع نطاقه ليضم رويداً رويداً الدول الديمقراطية ، إلى أن يضم العالم . وقد عني باحث آخر بوضع دستور لاتحاد أوربي ، على أن يضم تحت جناحيه اتحادات اقليمية أوربية مثل الاقليم الذي يشمل بولندا وتشيكوسلوفاكية ، والاقليم الذي يجمع بين اليونان ويوغسلافية

وأما المشروع الثالث فهو القائم على مبدأ حسن الجوار ، أو مبدأ الجار الطيب . وأصحاب هذا المشروع يشيرون إلى نجاح مبدأ الجار الطيب الذي مارسته حكومة الولايات المتحدة في القارتين الأمريكيتين ممارسة فعالة متسقة الجوانب في عهد الرئيس فرنكلين روزفلت ، ويقولون إن هذا النجاح تم بغير سلطة عليا من قبل هيئة دولية كالعصبة ، أو حكومة اتحادية كاللحكومة التي يقترحها سترايت وأصحابه ، وإن الدأب في هذه السياسة إنشاء لجان وعقد مؤتمرات لبحث الموضوعات ، وتقديمها إلى الحكومات المختصة

وهناك مشروعان آخران أحدهما قائم على مبدأ مالي ، والآخر على مبدأ اقتصادي . أما الأول فركنه بنك عالمي تكون مهمته تنظيم الحياة الاقتصادية وتنسيقها في أرجاء العالم ،



وأما الثاني فقيام على المبادئ التالية : اذا منعت المنتجات الزراعية والصناعية من اجتياز الحدود السياسية فالجنود يجتازونها ، واذا لم تحطم القيود التي تقيد التجارة فان القنابل تحطم المصانع ، وان الاتفاقات الاقتصادية القائمة على مصلحة الفريقين المتبادلين أدنى الى المحافظة عليها من الاتفاقات السياسية ، أي ان الباب في هذين المشروعين هو « الاتحاد الاقتصادي الآن » ، وهو يقابل جزءاً من مشروع سترايت الذي يجمع بين الشؤون الحربية والاقتصادية وبعض الشؤون السياسية . على ان اصحاب الاتحاد الاقتصادي يرون أن لا حاجة الى الاندماج السياسي ، لأن التوحيد الاقتصادي يجعل التوحيد السياسي في المقام الثاني وفي حكم تحصيل الحاصل

هذه نماذج من المشروعات المقترحة ، ولكل منها تفصيل وعلى كل منها اعتراضات ، فإقلنه هنا لا يتجاوز الإشارة وحسب ، وواضح من هذا القليل أن أجزاء من كل منها لازمة للمحافظة على سلام العالم وحرية ورخائه . كل مشروع من هذه المشروعات وغيرها ، أشبه ما يكون بألة موسيقية واحدة ، لها لحنها الخاص بها ، ولكن النغم الفخم مؤلف من جميع الألحان ، معزوف عزفاً منسقاً على جميع الآلات ، وفي كل مشروع كلمة تعد في منزلة المفتاح الذي يفتح به باب ذلك المشروع ، ففي هذا كلمة « العصبية » ، وفي ذلك كلمة « الاتحاد » ، ولكن أصحابها جميعاً مدركون أن كلمة واحدة أو مبدأ واحداً لا يكفي لدفع جميع القوى الانسانية من سياسية واقتصادية وروحية في عنان واحد ، لتجر مركبة مثقلة بمشكلات العالم ، فهذه الالفاظ تدل على اتجاهات ويجب التوفيق بينها

فعالم بعد الحرب سيشهد قيام أكثر من اتحاد واحد ، منها السياسي ومنها الاقليمي ، ومنها الاقتصادي ، ومنها الخليط فجزء من مشروع « الاتحاد » يجب أن يدمج في كل مشروع يرجى له نجاح . وربما لا تُسبعت عصبية الأمم كما كانت ، ولكن لا ريب في أن بعض الأعمال التي كانت تنهض بها العصبية ستبعث ، ويجب ان تبعث وتدمج في هيئات دولية قديمة منبعثة ، أو جديدة على الاطلاق . وليس في وسع أحد ان يزعم ان التوسع المرجو في التجارة العالمية ، والمساواة في الفرص المتاحة للحصول على المواد الخام ، يمكن ان يحققا ، في ظل أنظمة النقد والمصارف المضطربة التي كانت تسود العالم قبل نشوب الحرب . فجزء من المشروعين المالي والاقتصادي يجب ان يدمج في النظام العام الشامل

فهذه المشروعات متصلة بعضها ببعض ، معتمدة بعضها على بعض ، غير مناقض بعضها لبعض . انها تسعى جميعاً الى غرض واحد ، فالحاجة الى النية الحسنة والفكر النير ، والعزم الذي لا يلين ، انما هي الحاجة الى الروح فبغير الروح ، لا نجاح لمشروع ما : « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »



# رسالة الطب

## في الحياة

لصاحب السعادة الدكتور سليمان عزمي باشا

للبيئة والمجتمع والوراثة تأثير في شخصية الانسان ، واذا ما تهذبت غرائزه بالتربية والتعليم  
تطبع بحميد الصفات فابتعد عن القبائح  
فالطبيب الطيب المنبت اذا ما حصل على تعليم راقٍ ومتين يصبح ذا شخصية بارزة  
وأخلاق عالية وكفاية فنية عظيمة ، وخليقاً بأن يمتاز على معاصريه ببعد النظر وسعة  
الصدر والمقدرة على فهم الامور واخراج الاستنتاجات السليمة وقدّر المسائل حق قدرها ، لأن  
فن الطب ودراسته والعلوم الطبية وما يتصل بها عودته البحث والاستنتاج وربط الامور  
بمسبباتها ونتائجها كما عودته المثابة والصبر والتأني وتقدير المسؤولية — فمسئولية الطبيب  
في فنه تتصل بأهم وأقدس شئون الحياة ( الروح — الصحة والعافية — الحياة ) وما عدا  
ذلك من مال وكسب وجاه وشهرة وافتخار وتنعم بزينة الحياة وملذاتها وما يعده طلابها  
سعادة ولنعماً وغاية يسعون وراءه في هذه الحياة الدنيا هو عند زهادها مظاهر خلافة  
عبيدها الناس وتغالوا في الاستكثار منها ، ولولا هذا التباين في مقاصد الناس لفسدت الأرض .  
وقد راجت سوق المادة للأسف في هذا العصر ، ولا أزعج ان الأطباء براء من كل هذا فهم  
بشر ولشكل انسان وجهات نظر تختلف عن وجهات نظر غيره وكل يرى سعادته وهنائه في  
ادراك ما تصبو اليه نفسه — والسعادة فنون ولكل فن عشاقه  
بل قد رأى بعضهم السعادة لدى المجانين لأنهم سعداء في اعتقادهم وفيما تركز في ذهنهم  
وشغلهم عن كل شيء آخر

وهذا البحث الذي كتبه أخيراً أحد أماندة علم النفس وترجم في مجلة « المختار » تحت  
عنوان « العقل في الجنون » يوافق قول الشاعر العربي « وما لذة العيش إلا للمجانين »  
فهم يعيشون في دنيا من الاحلام بعيدون عن دنيا الحقائق والتفكير والهموم ، لاهون  
بما هم فيه ، فرحون بما لديهم خافلون عن كل شيء آخر من أمور الحياة ، لا يشعرون بمسؤولية  
ولا تقع عليهم تبعه تصرفاتهم — وما أنسب قول الشاعر العربي في ذلك



ذو العقل يشقى في النعيم بعقله وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم  
وإذا كانت الماديات ضرورية فهي كالمالح للطعام لا تكون إلا بقدر، ولا يجب أن تتضاءل  
أزاءها الفضائل وتتلاشى المزايا الطبية الخالدة، فكل شيء مصيره إلى الفناء إلا الشخصيات  
الإنسانية التاريخية وأعمالها المجيدة النافعة فإنها باقية على مرّ السنين والأيام

وقد أثرت العلوم المادية المحسوسة في الطب نفسه، فبعد أن كان الطبيب يطبق معلوماته  
ويقيس بخبرته ويحكم بعقله الراجح فيما يعرض له من الأمور دخلت المادة في العلم وأصبحت  
التحاليل والجواهر والأشعة والعقاقير مهيمنة على الفن ونسبت إليها الفوائد السحرية في سهولة  
التشخيص ونجاح العلاج وأهملت إلى حدٍّ ما شخصية الطبيب وتأثيره النفعي في اعتقاد  
المريض — لا أقول ذلك لأنقص من قيمتها وحققها فهي ذات فائدة عظيمة — ولكن  
ألا يضحى قبلها شخصية الإنسان، فليس العلم بذاته هو الذي يقرر، وليست الآلات  
والأجهزة هي التي تفكر، ولكن العالم هو الذي يشاهد ويستنتج ويقرر

فاذا أخذنا الطب مثلاً فقد بحث الإنسان في الطب وقرن بحته بأمراض الإنسان والحيوان،  
وغيره وبدل في النظريات ليصل إلى دفع الأمراض وتخفيف ويلاتها. ولو تتبع الإنسان  
النظريات الطبية من مبدأها إلى الآن لوجد أننا الآن بعيدون كل البعد عن كثير من النظريات  
الأولى بل ذهبنا إلى أبعد من ذلك ونظرنا إليها كأنها خرافات — ويجب ألاّ تحتقر  
واضعيها لأنها كانت أول درجة من درجات السلم ارتقين منها ثم صعدنا درجة فدرجة إلى أن  
وصلنا إلى ما نحن عليه، ثم عدلنا البناء لهذا السلم وشيدناه على أساس أمتن وبمادة بنائية  
أقوم، والفضل للمتقدم

والطب كغيره من العلوم لا تكون له فائدة إلا إذا عمل به. وفي هذه الصناعة الشاقة  
يجب على الطبيب الماهر أن يربط ما يشاهده من أعراض المرض بأسبابه وتأثيرها في وظيفة  
أعضاء الجسم. خذ القلب مثلاً — فاذا ما شخص الطبيب آفة عضوية في القلب محدثة  
تغيراً في أنسجته فلا يقف بحته عند هذا الحد بل يجب أن يتعرف تأثير هذا المرض في وظيفة  
القلب، وهل القلب يؤدي وظيفته كاملةً أو ناقصةً، وهل عاقبة المرض عوقاً تاماً أو غير تام  
عن أدائها — وهذه النتيجة التي ينبغي أن يصل إليها الطبيب هي من أدق وأشق النقط في  
عمله لأنه يتوقف عليها سير العلاج

ويستلزم الوصول إلى هذه النتيجة فحص باقي أعضاء الجسم لارتباط الدورة الدموية  
بها جميعاً، كما أن من أهم ما يعنى به الطبيب فحص الدورة الدموية من قلب وشرابين وأوردة  
واوعية شعرية وضغط دم في حالة أمراض أعضاء الجسم الأخرى، لأن المرض وإن ظهر  
موضعيّاً في عضو ما فإنه يؤثر في كاهل بنية المريض، ولا سيما الأمراض الحادة والحمية منها على



وجه الخصوص . والأسان متغير متقلب في كيفية تأثر بفينته بالامراض، ولكل فرد خواصه . وفي هذا الجو العاصف الممتلئ بالصعوبات والشذوذ ماذا يفيد العلم وماذا تفيد آلات الفحص والمعامل بدون ذكاء الطبيب وسلامة تفكيره وإصالة رأيه وكفايته ومقدرته على تطبيق العلم خذ أبسط الامثلة : ماذا يفيد علم الجراحة اذا لم يكن عند الجراح الانامل الموهوبة لاتقان اجراء العملية، وماذا يفيد العلم والانامل الموهوبة اذا لم يكن الجراح سريع الخاطر حنكته التجارب فيقابل ما يطرأ عليه اثناء العملية من الصعوبات وتمكنه خبرته ان يقرر متى يقدم على اجراء العملية ومتى يحجم عن عملها - ويقاس على ذلك كله ما يسعه فكير القارىء من الاحتمالات

خذ مثلاً آخر المدرس : لا يكفي أن ينبغ طبيب في فنه ليكون أستاذاً قديراً بل هنالك مواهب ومميزات أخرى يجب أن تتوفر فيه ، منها حسن الالتقاء والمقدرة على التعبير بألفاظ سهلة منسلة بسيطة بليغة ، وأن يكون قادراً على المسايرة مع عقلية الطالب والامتزاج بحالته النفسية فيستعمل خبرته وتجاربه أثناء القاء الدرس فلا يكون شبه امطوانة فونوغرافية يلقي ويعيد ما يقرأه في بطون الكتب

ويجب أن يكون في علمه وأخلاقه وأدابه وكفايته ومواظبته مثلاً يحتذى به ليتشرب الطلبة بروحه يأخذوا عنه أحسن المواهب ، هذا اذا قصد تكوين جيل صالح سليم مقدر للمسئولية ، حي الضمير ، طاهر الذمة ، فيكون المثل الاخلاقي لهم يأخذون عنه فلا يكون كما قال الشاعر :

خذ بقولي ولا تنظر الى عملي    ينفعك قولي ولا يضررك تقصيري  
بل يكون كالقدوة لهم . ولا ينهى عن خلق ويأتي مثله . وقد قال جوتييه شاعر الالمان في هذا المعنى « لا تطالب أحداً إلا بما تطالب به نفسك أولاً »

العلم والاستاذ والطبيب يجب أن يعد كل منهم عمله ومهنته كعلم وصناعة وفن ويؤدي لكل منها حقه فيزيد علمه بكثرة البحث والاطلاع ويتقن صناعته بكثرة الممارسة والتجارب لتزيد خبرته ومهارته ويتقن فنه بالدقة في القول والعمل وبث روح الاخلاص في المهنة مع العطف المشبع بروح الفن

فبالتعلم والتثقيف ومعرفة السكليات والجزئيات وقوة الملاحظة والذاكرة والأبحاث الشخصية والمشاهدة والقياس وسعة الاطلاع وحسن الامتنعاج وكثرة المراتبة والتجريب يصل الطبيب الى الحكم الصحيح في أي مسألة تعرض عليه ، ويكون أسرع من غيره في استنباط الحقيقة وربط الأسباب بمسبباتها

وماذا يفيد العلم والتعليم اذا لم يكن للطبيب شخصية قوية بارزة وأخلاق متينة يقدر



بها المسؤوليات التي يواجهها فيسخر العلم لفائدة الانسانية في أسمى معانيها وهي حفظ حياة أخيه الانسان والمحافظة على صحته وعافيته ومنع الامراض عنه وشفاءه منها اذا ما انتابته .  
فينبغي للطبيب أن يعترف بكرامته ويستقل برأيه دون مكابرة ولا عناد ويسمو بشخصيته فوق كل الاعتبار، ومن هانت عليه نفسه كانت على الناس أهون

فالدكاء والنشاط وحب الاتقان والإخلاص للفن وصدق العزيمة وقوة الارادة والصبر والمثابرة والصدق صفات ملازمة للشخصيات الوثابة ، لا الشخصيات القانعة بالقليل مما تعلمت من علم أو من فن

ولا يكفي أن ننجح فيما تعلمنا ونقتصر عليه بل يجب أن نبحت ونتج وزيد العلوم والفنون فلا نكون عالة على الآخرين نأخذ ولا نعطي ونعلم ولا نزيد ، إذ لا ينبغي أن يكون الانسان أنانيًا يأخذ ولا يعطي فقد قتلت الأنانية النفوس . ويجب أن تفكر في غيرنا لنعيش كلنا سعداء

الأنانية تورث الكبرياء والغيرة والحسد والاستئثار بالخير والايثار يورث التواضع والغبطة والمحبة وتعميم النفع والخير والعلم بدون الأخلاق المتينة جسد بلا روح  
رحم الله ( شوقي ) حيث قال :

صلاح أمرك للأخلاق مرجعهُ فقوّم النفس بالأخلاق تستقم  
والنفس من خيرها في خير عافية والنفس من شرها في مرتع وخم  
ورجال العلم والمهن والادارة والصناعة والتشريع وأمثالهم ، والاطباء على الخصوص ،  
ان أساءوا استعمل فنيهم يضررون أكثر مما ينفعون، ويتمثل اذن مريضهم بقول من قال  
تداويت من داءٍ بداءٍ واقتل ما أهلك ما شفاكا

الطب والرحمة متلازمان ولذا ندخل الطب في شؤون المرضى الاجتماعية أكثر من غيره من المهن ، وهو علم شاق متعب صعب ، ولكنه كله رحمة وعطف ، به كثير من التضحية ونكران الذات

واذا كان فن من الفنون خليقاً ان تمارسه الملائكة او رجال الدين فهو صناعة الطب، ولذا يسمي الناس الأطباء ملائكة الرحمة ورسلا الانسانية . ولورجعنا للتاريخ لوجدنا من القرون الوسطى وما قبلها من العصر المسيحي ان كثيرين من الرهبان كانوا يتولون التطبيب وكانت الاديرة في اوروبا ملجأ للمرضى . ولا غرابة في ذلك فان رجال كل دين يرون من التدين السير على خطوات رسلهم وأنبيائهم، وقد أتى المسيح عليه السلام بمعجزات طبية عديدة وحث على الرحمة والمحبة والسلام ، فمن المعقول اذن ان يسير الرهبان والمتدينون في طريق التطبيب والعناية بالمرضى لما في ذلك من رحمة وحنان وعطف على الفقراء والضعفاء والبائسين



وكتب تاريخ الطب حافلة بما ثبت ذلك، ومع انتشار العلم والحضارة الحديثة أخذت المستشفيات ومدارس الطب تنفصل شيئاً فشيئاً عن أماكن العبادة الى ان صار أغلبها معاهد علمانية، ولا يزال بعضها الى الآن دينية أو شبه دينية — ويروي لنا التاريخ ان أول مستشفى شيد في إنجلترا شيده سنة ١٠٨٤ رئيس الاساقفة لانكفران Lanc franc وسماه مستشفى سنت جون St. John كما ان بها مستشفيات اخرى شيدها في أول أمرها رجال الدين وفي العهد الأخير زاد الاهتمام بشؤون المرضى الاجتماعية واهتمت الملكة فيكتوريا بهذه الناحية غاية الاهتمام وافتتحت أثرها من جئت بعدها من الملكات وساعدن وعضدن المشروعات التي تؤدي الى تحسين شؤون المرضى الاجتماعية ونجحت أعمال البر والاحسان التي من هذا القبيل في إنجلترا بفضل اهتمامن بها وغيرهن عليها وتشجيعهن لها

ويجمع المال لهذه الجمعيات عن طريق الهبات والتبرعات والاشتراكات وجمع النقود في ايام معلومات. ويدير هذه الجمعيات هيئات منظمة للسيدات وللأطباء فيها أكبر نصيب، لأن السيدات بغيرهن ذوات نفوس شفيقة رحيمة، والأطباء بحكم صناعتهم ذوو شفقة ورحمة ومعرفة بمواطن البؤس والشقاء، فهم المرشدون الهادون لهذه الجمعيات ولهم أكبر نصيب في تنفيذ اغراضها، فالطبيب بحكم صناعته يتصل بجميع الطبقات: الفقير والمتوسط والغني، ويراهم عند بؤسهم ومرضهم وحاجتهم وضعفهم، فهو عليم خبير وهو أقدر الناس على ارشاد الأغنياء والسلطات الى وجوه البر المختلفة الى أفضل ما يعمل لتخفيف الضرر عن الانسانية وهكذا صدق قول جلادستون السياسي الانجليزي الخطير « سيأتي الوقت الذي يكون فيه الأطباء مرشدي الأمم ». وليست رسالة الأطباء في هذا الجيل كما كانت عليه في العصور الخالية مقصورة على علاج الفرد ومنع المرض وتخفيف آلامه وويلاته عن الأفراد بل اتسعت وانفسح أمامها المجال وأصبح طب الفرد وطب الجماعة وطب الوقاية والعلاج وشؤون المرضى الاجتماعية داخلة في دائرته، وتفرغ الطب الى فروع عديدة. ومن النصائح التي ذكرها الدكتور يوسف مراد في كتابه شفاء النفس الوصية الآتية، اذكرها لأنها كأنما خصصت للأطباء « لا يمكن ان تكمل شخصيتك الا اذا شعرت فعلاً بأنك عضو عامل في مجتمع تسعى دائماً لخدمته مهما كانت طبيعة عمالك — دعم الأوصار التي تربطك بأفراد اسرتك ومهنتك وقرينتك ووطنك بل بأفراد الانسانية جمعاء . . . ان الأمراض النفسية لا تبعد ان تكون أمراضاً خلقية وان أساس الصحة العقلية هو في جوهره تغلب الايثار على الانانية والتعاون على المنافسة والتسامح على الحقد والبغضاء »

لا يعنى الأطباء بالحكم أو بالسياسة كما يفهمها الآخرون وقلما يجادلون بل هم عمليون لهم سياسة طبية اجتماعية خاصة بهم بل تشمل تقريباً كل مرافق الحياة وتدخل في الشؤون الطبية



والاجتماعية كلها للخير وللبر ولاسعاد الانسانية ، وتخفيف ويلات الأمراض . فأول من فكر في ادخال شؤون المرضى الاجتماعية في دائرة الأطباء المستر لوك والكولونيل منتفير في سنة ١٨٩٥ في مستشفى رويال فري في لندن ، ثم نظم معهداً لتدريب السيدات على هذه الأعمال سنة ١٩٠٧ واستحق الانعام عليه بلقب سير فصار اسمه سير شارلز لوك . والحياة نضال مستمر والأطباء يجيدون النضال على طريقتهم وأسلوبهم في ذلك غير أساليب الآخرين فهي خالية من الشدة والعنف ، كلها لين ورفق لأن البيئة التي يجولون فيها تستدر الرحمة والبر والعطف كل طبيب مثقف يتخذ مثله الأعلى من تأثير البيئة والتربية والتعليم والتوجيه الصالح فيضع نصب عينيه آمالاً يصبو اليها . والطبيب يرى مثله الأعلى أن يكون رجل علم وصناعة وفن تقوم جميعها على أتمس علمية متينة وأخلاق سامية — ويهيئه عمله أن يكون رجل بر وخير وانسانية . واختلاطه بكل طبقات المجتمع ودرسه لعقلياتهم وأمزجتهم المختلفة يحتم عليه أن يكون ذا ثقافة بيسيكلوجية لينجح في تأدية رسالته لأن الطب أقرب العلوم الى البيسيكلوجيا العملية ، فعمله ليس مقصوراً على الافراد بل والجماعات . وكل طبيب حاز شهرة في فنه عنده خبرة بيسيكلوجية عملية وان لم يكن قد درسها من قبل وكذا الحال في رجال الاعمال الناجحين في أعمالهم التي تحتاج لمعاملة الافراد والهيئات والحكومات .

وقد اتسقت واجبات الطب وامتدت الى النظر في الشؤون الاجتماعية فلا مندوحة للطبيب عن أن يتصل بسلطة المجتمع الذي يعيش فيه ويستعين بذوي الجاه والنفوذ والمال لتتوفر له وسائل النجاح في تأدية رسالته

واذا فكرنا قليلاً نجد انه لولا التعاون الذي تحتمه المدنية والحضارة لما امكن أي انسان أن يؤدي عملاً مجدياً مثمرأ مفيداً . فالعلوم والفنون والتعليم والتربية والصناعة والقضاء والتشريع والادارة وغير ذلك من مختلف الاعمال كلها تتعاون لحفظ كيان الحضارة . وترتقي الامم بتوثيق هذا الارتباط وتنحط بتفككه . والغامل البسيط والصانع والفلاح والخدام الى آخرهم يؤدي كل منهم وظيفة انسانية نافعة للمجتمع . قال الشاعر

فالناس للناس والدنيا مكافئة بعض لبعض وان لم يشعروا خدم

وقد كان للطب اثر كبير في نجاح المشروعات العظيمة . وفي التاريخ الحديث عبرة من فتح قناة باناما اذ كان لتأثير انتشار الماريا اثر مبيء على نجاح المشروع في اول امره . وعندما واجهت امريكا هذه المشكلة بالاحتياطات الوقائية والعلاجية عادت الصحة الى العمال وامكن اتمام هذا العمل المجيد . وقد حفظ التاريخ بين صفحاته فوز الطب وانتصاره الباهر في اتمام المشروعات الحيوية العظيمة بعد أن أخفق المال وحده في اتمامها



# الامير عمر طوسون

كما عرفته

حديث لسعادة فؤاد أباطة باشا

مدير الجمعية الزراعية الملكية

رغب اليّ صديقي رئيس تحرير المقتطف ان أتألف حديثاً لهذه المجلة من فؤاد اباطة باشا عن المغفور له الامير عمر طوسون . فهو من أكثر الناس معرفة بالامير الراحل الذي كان رئيساً للجمعية الزراعية الملكية ولقد استغرق هذا الحديث مع فؤاد باشا ثلاث جلسات ، تبينت خلالها احاطة واسعة ، وتواضعاً جليلاً من جانب محدثي الكريم . وقد تفضل فأمدني بما ليس لديّ من مؤلفات الراحل العظيم لمراجعتها في عدد آتٍ واني بعد ان عرضت على سعادته هذا الحديث فأقره لا يسعني الا شكره باسم المقتطف محمد عبد الغني حسن

لا أدري أي النواحي عن الامير عمر طوسون أطرق ، فهو جامع لكل خلال الخير ، ومن أية ناحية نظرت اليه وجدته عظيماً جليلاً القدر . فكان الشاعر القديم عناء بقوله : --  
كالبدر من حيث التفت وجدته يهدي الى عينيك نوراً ثاقباً  
وقد أفاضت الصحف والمجلات الاسبوعية في وصف الامير ما أفاضت وكانت سيرته موضوع الحديث على كل لسان . ونقل الأديب في كل سامر . فكان رحمه الله الحديث الحسن لكل واع ، والكلمة الطيبة في فم كل متكلم . وما كذب القائل : --  
وانما المرء حديث بعده فكن حديثاً حسناً لمن وعى  
وهنا قلت لمحدثي . وما أصدق الشاعر حين قال :  
تدول أحاديث الرجال وتنقضي ويبقى حديث الفضل والحسنات

\*\*\*

ولقد وُصفَ رجلٌ فقيل فيه « فُتِّشَ عن تجربة » فأنا محدثك اليوم عن الامير حديث المجرب له ، وقاص عليك بعض ما رأيت منه في الجمعية الزراعية التي تشرفت برياسته ، وخلت اليوم من مكانه ومكانته . وهو مكان كان رحمه الله فيه ملء السمع والبصر . فقد نزل من بين أعضائها منزلة الاعزاز والتكريم والحب . وتلك منازل يهبها الله لمن يكل اليه الامر



الكبير والشأن الخطير . وكان حضوره في جلسات الجمعية سبباً الى مبادرة الأعضاء للاجتماع . فكان بينه وبينهم دوافع وجواذب . والآن وقد انفض منه المجلس ، وتعطل الندي . إلا أن روحه لا تزال مرفرفة ، وحماسه للجمعية . لا تزال ماثلة ، تستمد منها المضي الى غاياتها ، والاستمرار على تحقيق أهدافها . ولا أذكر أن جلسة واحدة شهدها الأمير فتأجلت لعدم اكتمال العدد القانوني

ولعلك تسألني عن السر في تلك المكانة التي أنزلها الأمير بيننا . وليس في المسألة سرٌ أذيعه ، ولكنها فضيلة حباه الله بها . وأرى من الوفاء له أن أنشرها . ولم تكن تلك الفضيلة مطوية حتى تنشر ، أو مكتومة حتى تداع . ولكننا نحن الذين اتصلنا به واقتربنا منه عرفناها له وأكبرناها فيه . ويسرني اليوم أن تذيعها بوساطة « المقتطف » على الذين لم يتح لهم أن يعرفوها بأنفسهم أو يشهدوها بأعينهم

لقد خلق الأمير بيننا جوًّا يتجلى فيه الحب لشخصه . وكان حبًّا يكتنفه الاجلال ويحيط به الاحترام . وكان على بعد منزلته دائماً ، وعلى جلال قدره متواضعاً

\*\*\*

لقد أحببنا الأمير لأنه كان منا وكنا منه . وكانت تنزل النازلة بأحدنا فيجد عند الأمير حسن العزاء وجمال المواساة ... وكان يحل السرور بأحدنا فيجد عند الأمير لطف المشاركة وكرم التهنئة . أليس في ذلك ما يأسر القلوب ويوطق الأعناق ؟

وأحببنا الأمير في الجمعية لأنه كان يدير مناقشاتها ومباحثاتها في جو هادئ ، مما يفسح المجال للرأي الناضج والفكر الختم . وكان شر الآراء عنده الرأي الطير . فلا يصدر القرار إلا بعد البحث الطويل والرأي الحر والاقتناع بالاجماع . فإذا ما تشعبت مسالك الفكر ، واختلفت مذاهب الرأي في الأمور الهامة ، أحالها على المختصين من أعضاء المجلس ، وعلى اللجان الخاصة لدراستها دراسة تفصيلية . ثم أخذ رأي المجلس واحترم رأي الاغلبية ، ولو كانت في غير جانبه . بعد أن يطلب اثبات رأيه . ولم يستأثر سموه بذلك الحق لشخصه أو يختص به لنفسه ، بل كان ذلك حقاً لكل عضو من الاقلية

فأنت ترى انه كان معنا يأخذ بالشورى ، ويدع المجال لاصطراع الأفكار ومبادلة الآراء . ولا يبيت في أمر حتى تدرسه اللجنة المختصة ويعرض رأيها على المجلس لاتخاذ قرار في الامر . والواقع ان ادارة الجمعية كانت تسير — ومستظل مسائرة ان شاء الله — على المبادئ الدستورية والأخذ بالشورى والخضوع لرأي الاغلبية . وكان سموه لا يتعدى اختصاصات المجلس ، والمجلس لا يتعدى اختصاصات اللجان . والجميع لا يتعدون اختصاص



المدير العام . وكل أولئك في حدود السلطة العليا للجمعية العمومية صاحبة الرأي الأعلى في شؤون الجمعية

فكان نظاماً برلمانياً دقيقاً رضي عنه الجميع ، فإذا ما استقر الرأي على مبدأ من المبادئ كان سموه « نظامياً » من طراز رفيع وغرار بديع . وكأنا أشرب « النظام » في قلبه ، ونخالط حبه دمه ، فلا يرضى بالعبث به أو الخروج عليه على أية صورة ولا شك ان هذه الروح « النظامية » كان لها أثرها بين موظفي الجمعية . فاطرد بينهم النظام ، واتسق سير الاعمال . وطبيعة عمل الجمعية الزراعية تقتضي قيام العلاقات مع الحكومات المختلفة . وهنا يقوم عامل لا يتصل بادارة الامير ورياسته أكثر مما يتصل بمركزه وشخصيته . فقد كان لتلك الشخصية المحبوبة والذات الموهوبة مركز ممتاز محبوب وكان لذلك المركز أثره في تسير أعمالنا . وكانت علاقاتنا بالحكومات المختلفة تقوم على أساس من حسن التفاهم وجميل التعاون ومن هنا كان احساسنا نحن بالمصاب عظيماً ، وخطبنا في الفقيد ألياً

\*\*\*

هذا هو الامير عمر طوسون في الجمعية ، بل تلك ناحية واحدة من نواحيه المتعددة فيها ، ولو شئت أن أقص عليك الكثير من آثاره لتشعب الكلام . فله في كل زاوية منها حجر ، وفي كل بقعة أثر ، وفي كل عمل لها أحاديث وسير . ولكن المقام لا يأذن أما الامير خارج الجمعية ، فاسأل عنه في كل ميدان تره فيه سابقاً . فما تخلف عن شوط ولا قعد عن غاية ، ولا أحجم حيث يجب الاقدام . وكنت تراه في اليوم العصيب والازمة الحادة ، والشدة العارمة ثابتاً كالطود ، واضحاً كالشوى . صريحاً في الحق ، جهيراً بالرأي يخلص النصيح ويصدق المشورة ، وبخاصة اذا اختلفت النوازع ومالت الدواعي وما ألبس ، رحمه الله ، الباطل حقاً ، ولا صور الكذب صدقاً . بل كان رأيه لله وللوطن ، ذلك الذي قال فيه في مقدمة أحد كتبه « هذا الوطن العزيز الذي مهما بذلنا في سبيله من جهد فلن نستطيع أن نوفيه شيئاً من حقوقه الواجبة »

ولم يكن في وطنيته مستبدّاً ولا مستكبراً ، بل كان ديمقراطياً شعبياً . ولم يفرض على الناس زعامته ، بل فرضها عليهم صدق دعوته واخلاص عقيدته . فإذا ما أشكل الأمر ، وأعضل الرأي التفت الناس الى الامير عمر طوسون وتطلعوا اليه فلا يرضن بالرأي ولا يبخل بالمشورة . وأدلى بما ينصح به الناصح الشفيق الذي يخلط حلو الكلام بمره ، وسهله بوعره ويحرك الاشفاق منه ما هو ساكن من غيره



وهذه المشاركة الشعبية تظهر بجلاء في البلاغ الذي صدر عن اصحاب السمو الامراء وفيهم  
عمر طوسون يوم ٣ / ١ / ١٩٢٠ وفيه « جئنا نحن اولاد محمد علي لا لنشارك أمتنا في  
أمانيتها ومقاصدها فقط ، بل لنضم صدورنا الى صدور افرادها ، ونجعل ايدينا في ايديهم  
حيث اننا لسنا الاّ روحاً واحداً ، حتى نكون جسماً لا يجبر ، وقوة لا تقهر . فنطالب  
بحقوق وطننا »

وكما كان معنا في الجمعية من احترام الرأي وتقدير حرية الفكر كان في مواقفه الوطنية.  
كما جاء في حديثه مع المرحوم الشيخ عبد المجيد اللبان يوم ٢٤ سبتمبر سنة ١٩٢٠ « وانه  
— أي الامير — وان كان رأيه الخاص الذي يتمسك به كل التمسك هو وجوب حصول البلاد  
على حقوقها كاملة غير منقوصة فهو يحترم رأي الامة لانه رأي الجماعة التي يتحتم احترام  
رأيها »

فهل رأيت بعد هذا مثلاً لاحترام الرأي من رجل كان يمكنه أن يتخذ من شرف نسبه  
وجلاله قدره مسوغاً للاستبداد بالرأي والاعتساف في الحكم ؟

وكفاه في الوطنية فخراً أنه هو اول من دعا الى ارسال وفد مصر الى مؤتمر فرساي  
في ١١ نوفمبر سنة ١٩١٨ للمطالبة بحقوقها . وكانت الفكرة اختمرت بادىء ذي بدء في نفسه  
فحدث بشأنها المرحوم محمد سعيد باشا فاقترح عليه ان يتكلم فيها مع المرحوم سعد  
زغلول باشا لشخصيته البارزة في الهيئة الاجتماعية وفي الجمعية التشريعية . وقد ظاهر سموه  
بالفعل الوفد الذي سافر من أجل هذه الغاية وزوّده بماله وجاهه وآرائه

أما السودان فكان للامير همه وشغله ، فهو شديد الايمان بالعلاقة بين الشقيقين ، ولا  
يدع فرصة تمر من غير توطيدها . وفي كتابه ( المسألة السودانية — طبع المستقبل سنة ١٩٣٦ )  
يعرض الادوار التي مرت بالمسألة السودانية عرضاً تاريخياً وطنياً رائعاً

ولقد اتخذ السودانيون في مصر دعامة لهم وركناً شديداً يأوون اليه فيجدون فيه  
نخلة الكريم واخلاص الحميم وحصافة الحكيم ، وامتدّ نائله الى السودان تربة وأرضاً لا  
دعاية وكتابة ، فعم زيفه وحضره ، وسهله ووعره . وكفاه فضلاً أن البعثتين اللتين أوفدتهم  
الجمعية الزراعية الى السودان سنة ١٩٣٥ وسنة ١٩٣٧ كانتا من ثمار تفكيره

(الحق ان هذا تواضع من فؤاد اباطه باشا . فالبعثة الاولى كانت من ثمار تفكير اباطه باشا  
نفسه . فعرضها على الامير فشملمها سموه بعطفه وتشجيعه ، هل أغضبت فؤاد باشا لاني  
أذعت عنه فضلاً رأي حياؤه أن يستره ، وأبى تواضعه أن يذكره ؟ ولكن الفضل أجدر  
أن ينشر ، وأحق ألاّ يستر ، وقد هداني الى هذه الحقيقة كتاب « السودان » الذي أخرجته



وزارة التجارة والصناعة سنة ١٩٣٨ مطبعة مصر . وقدم له بمقدمة صاحب العزة عبد الرحمن بك فكري - عبد الغني )

\*\*\*

وكان في الامير عمر طوسون نزعة دينية قوية . فهو يكره الخمر وشاربها . وقد جعل جمعية منع المسكرات بالاسكندرية تحت رياسته الشرفية وأولاهها معونته . ومن مآثره انه اقترح على الحكومة المصرية اشتراكها في مؤتمر مكافحة المسكرات المعقود في ( انقرس ) وكثيراً ما كان يحارب الآراء الاجتماعية المتطرفة التي باعدت بين المسلمين ودينهم القويم . وهنا يتجلى حفاظه وغيرته

وما كان أشد فرحه حين يرى مسجداً أسس على التقوى ، أو منارة يرتفع منها الأذان باسم الله الاكبر . والمسجد الذي انشئ في قرية ( بهتيم ) النموذجية هو من وحيه وإشارته على ان هناك في اقصى جنوبي السودان مئذنة عالية لمسجد جديد . ولو كانت تنطق الأحجار وتتكلم الديار لنطق هذا المسجد بأيادي الامير عمر طوسون عليه

ذلك هو « مسجد جوبا » وتلك هي مئذنته . وهناك في تلك الأرض النائية وذلك المكان السحيق ، يجتمع المسلمون ليولوا وجوههم شطر المسجد الحرام خمس مرات في اليوم... ولم يكتف الامير بتأليف لجنة لبناء « جامع جوبا » تحت رعايته بل بدأ التبرع بمائة جنيه ثم شفعها بألف وألف لإنشاء مبان يستغل ريعها للاتفاق على المسجد ومرتبات القائمين عليه ، هذا عدا اعانات أخرى لمساجد متعددة في السودان . رحم الله الامير لقد رفع للدين حوائط ومناير ، والله يقول « انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر »

\*\*\*

أما الامير عمر طوسون فقد كان فلاحاً بطبعه ، مشغولاً بالزراعة محباً لأصحابها . وقد وهب في هذا الباب عبقرية خاصة فذاها بالصبر ، ونماها بالجهد ، وأضاف الى عقله المطبوع عقله المصنوع . فبلغ بمزارعه مبلغاً نقلها من أرض غامرة الى جنان عامرة بيدين حولتا الجذب خصبا فكانه الامير أبو دلف الذي مدحه الشاعر بقوله :

ولو يجوز لقال الناس كلمهم لولا أبو دلف ما أوردق الشجر

\*\*\*

أما اهتمام الامير بالعلم فتنتطق به مؤلفاته ومحاضراته وأبحاثه . وكان شديد التمسك لكل كتاب يظهر ، أو بحث ينشر ، أو محاضرة تذايع . فاذا رأى موضوعاً للتعليق أو الاعتراض لم يحجم عن ذلك . سواء كان الموضوع سياسياً أو تاريخياً أو اجتماعياً . وكان أسلوبه



في الرد والمناقشة خالياً من شوائب الكلام . فلا يقصد إلا الحقيقة ولا ينشد إلا المصلحة . وما عرفت عنه انه نال من مُناظره أو حاول أن يحطّ من شأنه . ولكنه كان يناظر في أدب العظيم ، وحكمة الرزين

وأروي للقراء مسألة تدل على يقظته وتنبهه لكل ما ينشر أو يقال : فلقد شك أستاذ محاضر ذات يوم فيما جاء بكتاب الامير « مديرية خط الاستواء » من أن ملك أوغنده كان تحت حماية مصر . فاهتم الامير بالامر . وعزّ عليه أن يخرج هذا الرأي من رأس مصري . وأقنع المحاضر بالحجة والبرهان ان أوغنده كانت حقيقة تحت حماية الحكومة المصرية

أما مؤلفاته فقد ذكرتها الصحف سرّداً . ولعلكم تتناولون التعريف بها الى قرائكم في المقتطف تعريفًا يدل على موضوع كل كتاب وقيمته للحق والعلم والتاريخ ( سأفعل — ان شاء الله — في العدد المقبل في الباب المستحدث : — التعريف والتنقيب — عبد الغني ) وللأمير نواح أخرى كثيرة لو اتسع المقام لأطلت الحديث عنها . الا انني اكتفي بالإشارة الى غرامه بالرحلات والكشف والارتياح . والصحراء الغربية على الخصوص تشهد بذلك . وله على « المتحف الحربي » أيدٍ لا تنكر بين تشجيع وتوجيه واهداء . وله مشاركة طيبة في « متحف الحضارة » الذي اهتم به حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق . فقد جعل الامير عمر الجمعية الزراعية تساهم في المشروع . وكان — سقت قبره الغواذي — مرجع اللجنة فيما يختص بقسم السودان . وكان اكثر رجالنا اطلاعاً على تاريخ مصر القديم والحديث . ولا يزال المجمع العلمي يذكر له محاضراته بالفرنسية عن فروع النيل القديمة وقد ظل ثلاث ساعات يلقيها

\*\*\*

وأكبر ما كان في الامير مروءته ولسانيته، وحمية ضميره ، وكان أفق انسانيته فسيحاً لا يضيق بالحدود ولا ينحصر في بقعة من الارض . ولكنه امتد الى بلدان أخرى كوقفه من الحرب الطرابلسية وحرب البلقان وحرب الحبشة . فقد كان دائماً سباقاً الى النجدة سريعاً الى الندي

وإذا قال الشاعر الجاهلي في مدح قومه :

لا يسألون أخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا

فان الامير عمر طوسون لم يكن ينتظر حتى يندب . ولكنه مروءته كانت دائماً تبدأ . ومعروفه كان دائماً يبتغي . .

تلك أسمى مراتب الانسانية



# اللغة القبطية

نشأتها وتطورها

للدكتور باهور لبيب

قبل أن نتحدث عن اللغة القبطية نشأتها وتطورها يجدر بنا أن نعرض لهذا اللفظ ومدلوله وأصله واشتقاقه لأن البحث عن أصل الكلمة يمحيط اللثام عن معالم كثيرة تنير الطريق للباحث وتبعده عن الوقوع في الخطأ . فلفظ ( قبطي ) نسبة الى ( قبط ) وهنا نرى بقاء النسبة العربية . أما كلمة ( قبط ) فهي تحريف للفظ اليوناني والروماني الذي أطلقه اليونانيون والرومانيون من بعدهم على مصر والمصريين بعد حذف السابق ( اي ) واللاحق ( وس ) وبقيت كلمة — قبط — بالجيم المعطشة التي تنطق عادة ( ق ) ، لذلك كتبت الكلمة بها أي ( قبط ) بمعنى مصري . ولا شك في أن يونانية هذا اللفظ الخاص بمصر وشعبها لدلالة قوية على العلاقات القديمة التي كانت قائمة بين مصر واليونان فالتاريخ يحددنا والآثار تؤيده على أن العلاقات اليونانية المصرية بدأت في أوائل الدولة الحديثة أي في عصر التوحيد الثالث ( ١٥٨٠ — ١٠٨٥ ) ق . م . وذلك أن بعض الفراعنة

استعان بالجنود اليونانيين المرتزقين في بعض حروبهم

وأخذت هذه الصلة تنمو تدريجياً حتى إننا نجد تجارية في العصر الذي سبق حكم الفرس لمصر . وبعد دخول قبيل عاهل الفرس البلاد زح كثير من التجار اليونانيين وتبعهم عدد عظيم من علماء اليونان ومفكرهم الذين عنوا بدراسة تاريخ مصر وآثارها ودينها وأخلاق أهلها ، نذكر منهم هيرودوتس المؤرخ وأفلاطون الفيلسوف وهوميروس الشاعر وأرفيوس الموسيقي وغيرهم وهكذا أصبحت مصر كعبة القصاد من بلاد اليونان المختلفة من تجار وعلماء وجنود حتى أن ( بسماتيك الاول ) مؤسس الأسرة السادسة والعشرين ( وأول ملك من ملوك عصر التوحيد الرابع ) منح الجالية اليونانية جزاء المساعدة التي قدمها له جنود اليونان بعض الاجزاء من البلاد لتكون خاصة بهم وبأسراتهم من بعدهم كالحلي الخاص باليونانيين في بلدة منف وفي بلدة دفنة . ثم في عصر الملك احمس الثاني خصصت لهم مدينة ( نوقراتيس ) وموقعها الحالي بالقرب من صفيط الملوك

لذلك لا نعجب أن نرى بعد ذلك شعب مصر يرحب بقسودم الاسكندر ويرسم كنهة آمون له ابناً لكبير آلهتهم آمون ومنحه سائر الألقاب الفرعونية الحقة . توفي الاسكندر



وورثه البطالسة فأخذت الصلة بين مصر واليونان تقوى حتى صارت اللغة اليونانية هي اللغة الرسمية وقد بقيت كذلك حتى دخول العرب مصر وتعدت العلاقات الثقافية الى السياسية إذ أصبحت مصر تحت حكم اليونان مدة طويلة ( ٣٣٢ ق . م . الى ٣٠ ق . م . ) وكانت هذه المدة الطويلة كافية لتوثيق العلاقات بين الشعبين المصري واليوناني وكافية أيضاً لأن يلمس المصريون الفرق بين الكتابتين اليونانية والمصرية القديمة متمثلة في الهيروغليفية والهيروغليفية والديموطيقية فبينما الكتابة اليونانية ، وإن كانت من أصل مصري ، تتطور وتصبح أكثر ملاءمة للحياة في ذلك الوقت إذ بالمصرية تبقى محافظة على صورها وأشكالها القديمة المختلفة . لذلك شعر المصريون بالحاجة القصوى الى وجوب العدول عن الكتابة المصرية القديمة الى الأبجدية اليونانية التي كان المصريون قد أخذوا في استعمالها بخاصة في كتابة أسماء الأعلام . ثم قاد هذه الحركة فيما بعد العالم الاسكندراني ( بونثينوس ) وتلاميذه المصريون حوالي أواخر القرن الاول وأوائل القرن الثاني للميلاد فقد نقحو الاملاء القبطي وكتبوا اللغة في الأبجدية اليونانية البالغ عدد حروفها اربعة وعشرون و اضافوا اليها سبعة حروف وهي ( شاي وفاي وخاي وهوري وجنجا وكشيا وتي ) اخذت من الديموطيقية لعدم وجود اصواتها في اليونانية . ثم اضافوا حرفاً آخر وهو ( صو ) الذي يستعمل للدلالة على العدد «٦» كما هو الحال في اليونانية . ومن حسن الحظ ان حفظ لنا التاريخ بعض الكتابات القبطية القديمة التي ترجع الى العهد الذي لم يكن قد اعترف فيه بعد بالمسيحية ديناً رسمياً للدولة بالرغم من دخول المسيحية البلاد أيام حكم نيرون على يد القديس مرقس عام ٥٤ م

ومن أشهر هذه الكتابات البردية التي طبعها العلامة ( جريفت )<sup>(١)</sup> والنص المحفوظ بمتحف اللوفر ونشره ( ارمان )<sup>(٢)</sup> . فهذان النصان يعالجان اموراً تتعلق بالسحر والفلك لا علاقة لها بالمسيحية بتاتاً . ففي البردية الاولى نجد ذكراً لنجم السعد وآخر لنجم النعس كما يوجد في النصين دعاء الى اوزيريس اله الموتى وانوبيس اله الجبانة ورع وايزيس . وغير هذه الكتابات عثر في اخميم على بطاقات للمومياء يرجع تاريخها الى القرن الثاني الميلادي وبعضها مؤرخ بالعام الرابع من حكم الامبراطور هديران وقد نشرها ( شتيندورف )<sup>(٣)</sup> . وكلما يتقدم بنا العهد نجد المسيحية تثبتت في مصر فتنهزم امامها الوثنية ويضطر الامبراطور قسطنطين الى الاعتراف بها ديناً رسمياً له وللدولة حوالي عام

(١) F. E. L. Griffith, The old Coptic Horoscope of the Stobar Collection, Aeg. Z. 38, pp. 71—85

(٢) A. Erman, Die aeg. Beschwoerungen des grossen Pariser Zauberpaprus, Aeg. Z. 1883, p. 89

(٣) Steindorff, Aeg. Z. 1890, p. 49 : Die Mumien Etiketten



٣٢٥ م . وحوّل خلفه بعض المعابد المصرية القديمة الى كنائس كما اغلق الباقي منها ثم جاء الامبراطور ( جوستينيان ) فأرسل قائده ( زيسيس ) الى جزيرة القيلة حيث قضى على البقية الباقية من عبادة ايزيس واوزوريس . وهكذا ترى المسيحية تعزز بعد ان قدمت من ابناءها الشهداء الكثيرين ايام حكم ( دوقلسيان ) حوالي عام ٢٨٤ م . فأصبحت مصر بعد ذلك معقلاً للمسيحية ووطناً للديورة والرهبة ، واستطاع الاقباط أن يخلقوا فنّاً قبطيّاً متأثراً باليوناني حيناً وبالفرعوني حيناً آخر

أما اللغة القبطية وآدابها فقد استمرت حيّة حتى القرن العاشر الميلادي بدليل اننا نجد الاسقف ساويرس بن المقفع يقول ما معناه ان القلم العربي عرف عند أهل الديار المصرية كما اننا نعرف من جهة أخرى أن كثيراً من العرب عرفوا اللغة القبطية حتى نجد في أوائل الحكم العربي لغة الدواوين القبطية أو اليونانية . وظلت اللغة القبطية اللغة الرسمية لمصر حتى عهد عبد الله أخ الوليد بن عبد الملك بن مروان . الذي أحل العربية محلها سنة ٧١٤ م . ولما كانت سنة ٩٩٧ م قام الحاكم بأمر الله بن العزيز أجد ملوك الفاطميين وأمر بإبطال لغة حية . واللغة القبطية كغيرها من اللغات تنقسم الى لهجات وقد ظهر ذلك جلياً عند استخدام الأبجدية اليونانية لاستخدام الحروف الصائنة الى جانب الصامتة ( المنحركة والساكنة ) بخلاف الجاري في اللغات السامية التي تكتفي بالحروف الصامتة فقط . ونحن نستطيع ان نفرق بين خمس لهجات في القبطية ولا نستطيع ان نحزم بوجود أكثر من لهجتين في العصر الفرعوني . وأشهر اللهجات القبطية هي :

أولاً — البحرية التي كانت أصلاً لهجة الاسكندرية عاصمة مصر الرسمية ، ايام اليونان والرومان ، وما جاورها في الوجه البحري . ومما زاد في انتشار هذه اللهجة انتقال بطاركة الاسكندرية الى ( بابلون ) أي القسطنطينية او مصر القديمة ثم الى القاهرة واستخدامهم اللهجة البحرية كلغة رسمية للكنيسة . وما زال هذه اللهجة مستعملة الى اليوم فقط في العبادات في الكنائس الارثوذكسية وبين قليل من الأسر ويلاحظ انها أكثر اللهجات تأثراً بالمفردات اليونانية لقرها من مواطن الثقافة اليونانية

ثانياً — اللهجة الصعيدية وهي لغة أهل طيبة ( الأقصر ) ومعظم سكان الصعيد الأعلى  
ثالثاً — اللهجة الاخميمية وهي خاصة بأهل اخميم وأقرب اللهجات الى المصرية القديمة وأبعدها تأثراً بمفردات اللغة اليونانية وذلك لبعدها عن الأوساط الاجنبية  
رابعاً — اللهجة الفيومية وهي لغة سكان الفيوم وما جاورها من البلدان  
هذه نظرة عاجلة عرضت فيها للغة القبطية نشأتها وتطورها كما بينت ان لفظ قبطي هو اسم يطلق على أبناء مصر مسيحيها ومسلميها ، وسأحدث الى القراء عن بعض أدب هذه اللغة



# القوى الخلقية

للموسيقى

لعثمان علي عسل

برينو فالتر Bruno Walter من الموسيقيين المعروفين في العالم. فقد كان رئيساً لحوقة  
أوبرة برلين وفينة وميونخ . وقام بعدة رحلات الى باريس ورومة والولايات المتحدة وقد  
نشر هذا المقال في مجلة الماركيز دي فرانس Mercur de France ( فبراير  
سنة ١٩٣٩ ) مترجماً بقلم كولين وباك فيشوت . وعن هذه الترجمة نقلنا هذا المقال

ان من يلاحظ المستمعين في قاعة للموسيقى يسترعي انتباهه ظاهرة سيائية أخاذة ذلك انه  
قبل أن يبدأ العزف ، يبدو الجمهور كأنه غير مكترث . ثم لا تلبث الموسيقى أن تبدأ ،  
فتنقل الى مملكتها هذه الخلوقات البشرية التي كانت الى هذا الحين سادرة . وهكذا  
تتحول كل الوجوه بتأثيرها ويرسم عليها تعبير غير عادي من الانفعال والمماحة : فهذا  
التحول العام في أسارير الوجوه ، يشهد بجلاء ان عاطفة عميقة أو نفحة من الخير أخذت  
تلمس النفوس وذلك أن الموسيقى حينما تستحوذ على المستمعين ، بفيض أنغامها ، تنير في  
نقوسهم هاتفاً خلقياً يمكن التعبير عنه بهذه الكلمات :

« لتطرح بعيداً عنك كل ما هو مبتذل وشرير . ودع السبيل لما ينطوي عليه قلبك من  
أسمى النزعات وأتقاها وأكثرها حدة »

وأنتي لعلّ يقين من أنني لا أبالغ . ألم تنهياً الفرصة لكل انسان ، بعد أن تضطره  
الموسيقى الى الخلو الى نفسه ، أن يلاحظ انها تصير بعد ذلك مصدراً للسمو ؟ وهكذا نجد  
أنفسنا منساقين الى أن نتساءل عن القوى التي تسري خلالها تلك القوى التي لا يظهر أثرها  
على الحساسية الموسيقية فحسب ، بل على العاطفة الخلقية للمستمعين أيضاً . ولكن ينبغي عليّ  
قبل أن أنصدي لهذا البحث ، أن أتجنب سوء فهم قد يعترض القارئ . فن الأمور التي  
لا تخطر على بالي ، بحث الآثار الخلقية للموسيقى باعتبارها أهم رسالة للموسيقى ، وأن أجعل  
منها وسيلة للتهديب والتربية . كلا ! فالقوى الموسيقية وآثارها في عالم الأصوات هي ماهية  
الموسيقى الحقيقية . غير انه اذا تيسر لها فوق ذلك ، أن تضفي على الانسانية شيئاً من



التحسين ، مهما كان ضئيلاً ، فلنا كل الحق أن نسجد في معبد الجمال شكراً على هذا العون ،  
المنقطع النظير الذي تسديه للخير

وإذا أردنا أن نميز هذا الهاتف الخلقي ، الذي تثيره الموسيقى في النفوس ، نجد  
من حسن الحظ ، شواهد أخرى غير هذه الشواهد التي لاحظناها في تغير المعات ، وإن كانت  
هذه شواهد غنية بمعانيها . أليس في مقدورنا أن نتأمل النفس بدراسة حركاتها ، حين تؤثر  
فيها الموسيقى ، بدل أن نفحص سمات وجوه غريبة عنا ؟ وأيُّنا لم يحس أن الضباب الذي  
يخيم عليه ، يكون أسرع تبديداً بفعل الموسيقى من انقشاع السحب أمام الشمس . كما أنها  
تحرك في الوقت نفسه كل ما فينا من الخير والحب

وقد عبّر الشاعر شوبير Shober عن هذه الفكرة بوضوح ، في قصيدته عن الموسيقى  
أوحاها اليه شوبارت « لقد أشعلت في قلبي حباً ملتهباً ، وفتحت أمامي أبواب عالم أسمى »  
ونحن الذين نعشق الموسيقى ندين لها بهذا الانفعال ، والسمو ، ونشوة القلب ، وحالة  
التجلي أيضاً . وقد عرفنا كل هذه الاحوال بتجارب عديدة وجميلة

ولكن مما عسى أن تتكوّن هذه القوة الخفية ، التي توظف فينا هذه الرغبة الشديدة في  
الخير ، هذا « الحب الملتهب » الذي يشير اليه شوبير ؟ هل شخصية الموقيقار الروحية  
السامية المتألمة بالحب هي التي تعبر عن نفسها في موسيقاه ، أو أنها تطرد أثناءها بقوة  
طاغية ، تدفعنا في تيارها بلا مقاومة ، الى أسنى أجواء هذه العاطفة . أو هل في طبيعة كل  
مومنيقي وسورتها قوة تعمل في طبيعتنا الخلقية وهي مستقلة عن شخصية الموقيقار ؟ وأخيراً  
هل يتبدل الانسان حقيقة الى أحسن مما هو عليه بتأثير الموسيقى ؟ أو أن ما ل هذا الهاتف  
الخلقي كمال خطبة . أنطون قديس بادوفا للأسماك التي يتحدث عنها الشعر « ما كاد الوعظ  
ينتهي حتى عاد كل الى طبيعته فأسمك اللوتسو ظلت لصوصاً وثعابين البحر عشاقاً ، فالخطبة  
ساجرة ، غير أن الأسماك كانت هي هي . أي أنها ظلت كما كانت » . فهل هذا شأن الموسيقى ،  
وهل ينتهي الهاتف الذي توجهه للبشر ، الى ما انتهى اليه وعظ القديس انطون ؟ وإذا كان  
هذا الهاتف التهذيبي يشير لذة واقعية ، ألا ينتهي به الأمر الى تأثير دائم ؟ وإذا لم يكن  
الأمر كذلك ، فهل نصم قوة الموسيقى التهذيبية بالضعف ، أو نتهم الجنس البشري بالعجز  
والنقص ؟

إن التجارب التي تمت حتى الآن تحييب إجابة لا تؤيد كل التأييد هذا السؤال من وجهيه  
لأنه إذا كان الانسان ينزع حتماً نحو الكمال بتأثير الموسيقى ، فينبغي علينا نحن المومنيقين ،



الذين نخضع لتأثيرها على الدوام ، أن تكون الخلاصة النهائية لأخلاق الانسانية ، لأن مواجهها المظهرة تدفعنا كل يوم وترميننا في عباها العاصف . ومع ذلك فاني أخشى أن لا يكون الموسيقى على العموم أحسن طبعاً أو أخط خلقاً من الذين يمتنون الى حرف أخرى . وإذا كان بين أفذاذ المهتمين ، من لهم شخصيات سامية طاهرة أمثال باخ وبتوفن وموزارت وشوبارت ، فإنه يوجد من أصحاب العبقرية المبدعة ، من لا تثير حياتهم في نفوسنا إعجاباً من غير تحفظ . ففي نفوس هؤلاء المبدعين ، وهي الينابيع الأصلية للموسيقى الحقيقية ، التي تجعلنا نحس الرفعة والحماسة والصفاء ، ما يكدر صفوها من البواعث الدنيئة . كما ان حياة هؤلاء الرجال العظماء تنطوي على أعمال لا عظمة فيها ، وعواطف وضيعة

أفلا يبدو لنا بعد ذلك أن هاتف الموسيقى التهذيبي ، ليس له إلا آثار عابرة تعمل في النفس ، على نحو ما يعمل التيار الكهربائي في قطعة الحديد المغنطة التي تكتسب حين يتم النحاس قوة لا تلبث أن تزول حين ينقطع ، ومن ثم تعود قطعة من الحديد هامدة ؟

وأنا لا أعتقد أنه ينبغي لنا ان نضع أهمية القوة التهذيبية للموسيقى موضع الشك ، كما انني لا أرتاب أيضاً في أن الانسان على استعداد للانتفاع بها جدياً . غير أنه من الملائم حينئذ أن نجعل آمالنا متواضعة وأن نسلم بأنه ليس من المحتوم أن تقودنا الموسيقى الى الفضيلة والكمال ، كما أنه من المحتمل أن تردنا الى حالة أحسن . وأنا مقتنع بذلك شخصياً . ولكي نتحقق من هذه الدعوى ، التي تفيض بالآمل ، أود أولاً ان أحلل القوى التهذيبية للموسيقى تحليلاً عميقاً ، ثم نتحدث عن نتائجها المحتملة

ومن رأيي ان قوى الموسيقى التهذيبية لها ثلاثة مظاهر : رسالة ، وتفسير ، ومقياس للقيم الخلقية . واني لأجد صعوبة هائلة في توضيح النقطة الاولى : وهي كيف تبدو لي الموسيقى رسولاً من مملكة الاخلاق ؟ فهي تواري وجهها كما تواري الملائكة الصغيرة بحياها بجناحين من أجنحتها في معبد الرب . ومن ثم لا نستطيع ان نراها الرؤية التامة . وإذا عدلنا عن هذا النهج في التشبيه ، فاننا نعجز عن ادراك ماهيتها ادراكاً عقلياً واضحاً ، ليتسنى لنا أن نعبّر عنها تعبيراً يمكن صياغته لفظياً . فنجد طامين تقريباً قام شاب من المولعين بالموسيقى ، يبحث في مدينة نيويورك ، فوجه الى الموسيقيين المشهورين السؤال التالي : « ما هي الموسيقى ؟ » وقد بدا لي ان الاجابات التي كنت أعرفها ، وكذلك الردود التي تلقاها الشاب ، كانت كلها مملوءة بالمغالطات من ناحية ، وغير وافية من ناحية أخرى . ولم أرد أنا عليه لأنني أحسست العجز ، . غير أنني كثيراً ما طودت البحث ، منذ هذه اللحظة عن



جواب لا يكون ناقصاً كل النقص . ولم أتمكن الى هذا اليوم ان أضع تعريفاً لمعنى الموسيقى ومع ذلك فنحن جميعاً نعلم ما هي عند ما نستسلم لايحاء الاحساس لا عند ما نلجأ الى جلاء الفكر ووضوح المناقشات التي نصغي اليها ، ففي تلك اللحظة نشعر بأنه لا يوجد شيء يمكن أن يأتلف وأرواحنا ، ولا يكون أشد امتزاجاً بها من روح الموسيقى المليئة بالأسرار . كما نعلم جيداً حينما نصغي الى صوت باطن ، ان ثمة قانوناً جوهرياً يسير حركات الموسيقى التي لا نهاية لتنوعها : فالنشاز يميل الى الائتلاف لكي ينتهي الى حل . وجميع الأشكال التي ينطوّر اليها التأليف الموسيقي — مهما كان — في الزمان ينتهي بميل نحو التوفيق ، والتهدة ، والانسجام السكوني . وهذا الميل أو هذا الاتجاه الذي ينتهي الى الهدوء ، من الاضطراب المنسجم ، هو طابع الموسيقى الغربية ، وهي التي أعنيها في هذا البحث . والنشاز متوازناً غير ثابت ، قانون طبيعي لهذه الموسيقى ، ولا يحدث فيها أي اختلال . فهي تجد نفسها مضطرة ان تتحول وتنطور ، لكي تنتهي الى حل في توافق كامل . فكل موسيقى ينبغي أن تنتهي عند هدوء التوافق الرئيسي . وليس في وسعي ان اتم في هذا البحث بقتبع تطورات النظرية الموسيقية ، ولكنني أجدي مضطراً ان أشير بالاجمال الى ان عناصر القلق تعمل كمحركات ودوافع تقضي الى الاطمئنان ، ولا يحدث هذا في الانسجام فحسب بل يحدث ايضاً في تركيب اللحن نفسه . وكذلك الحال في النشاز فانه يؤدي الى فعل مماثل غير انه اذا كان كل ائتلاف معناه الانتهاء عند الهدوء ففي أية قطعة من الموسيقى احتمالات كثيرة لختم مفاجيء . فاذا بدا حينئذ ان تطور القطعة ما زال يخضع للحركة انتهى الامر بالائتلاف الى ان يكون كالنشاز تقريباً . فالموسيقى في حاجة الى خاتمة لتركيبها عند حل مكوني لكي تؤكد فعل الترفيق والتهدة

\*\*\*

ان تطور الموضوع والسياق والتغمس يدعو الى هذا القلق في الانسجام ، وفي الصورة كما يؤخر ويؤجل في الحلول : لكي يتمخض في النهاية ، عن خاتمة هادئة في السياق النغمي والانسجام ، والصورة . والانفعال النفسي الذي ينشأ عن هذا التردد والتوقف ، وكذلك الآثار التي يتركها على الحساسية ، مردها كما ذكرت الى ان النشاز يميل الى الائتلاف ، واضطراب الصورة الى السكينة ، والتي لا يستطيع ان يصل اليها الا بتطور اللحن ولا يبلغها الا في النهاية

وفكرة المقام الصوتي من صميم الأفكار التي تتعلق بالنشاز والائتلاف فالتوافق



يكون نافرأ او مؤتلفاً اذا اتجه نحو المقام ، او اذا بلغه . وهؤلاء الذين ينكرون فكرة المقام يطرحون فكرة النشاز والائتلاف . وخطأ النظرية الخارجة على نظرية المقام قائم فيما يلي :

ما دام الموسيقيون من أتباع هذه النظرية لا يعترفون بالمقام الصوتي ، فان النشاز في ألحانهم لا يحتاج الى تقدم ، ومن ثم يفقد هذا النشاز معناه ، كما تنجرف موسيقاهم عن طريقها الطبيعي وتصبح صناعية متكلفة ، ويكون شأنها كشأن البذرة التي لا تحتوي على حيوية محتملة الظهور ، أي انها تظل لغة صوتية مجردة . وهذه الفكرة لا يمكن ان يعقلها ويقبلها ذوو الروح الموسيقية السليمة . لأن أصحاب هذه النظرية لا يحاولون التغلغل في أسرار القوانين الموسيقية ويستبدلون بها نظرية ذات صبغة عقلية . ولهذا من الجائز ان يبدو انتاجهم جريئاً وروحياً ، غير انه لا يمكن ان يكون موسيقياً . وأظن انه ليس من العبث ان اشير الى ان اكثر الانسجيمات وأشدّها اندفاعاً لا يمكن ان يكون خارجاً على المقام لأنه يعتمد اعتماداً مهماً كان ضعيفاً على فكرة المقام . ولا ينطبق ما ذكرت الا على الملحنين الذين يمارسون النظرية المعارضة للمقام الصوتي بدقة . وكذلك المحاولة التي تحول بين الموسيقى والتوافق النهائي ، فان هذه الموسيقى تنتهي الى خاتمة ليس لها منفذ ، فلا يمكن ان يقر انسان ان قطعة موسيقية تنتهي بنشاز ، فن المستحيل ان نعتقد انها انتهت ولكنها تترك في أنفسنا أثراً بأن هناك انقطاعاً في اللحن . ومهما تحكّم الملحن فانه يعجز أمام الارادة غير المحسوسة التي تحدد باللغة الموسيقية أن تحل النشاز في روح المقام ، وأن تنتهي بالتوافق التام

وأني لأجد نفسي ملزماً ، لكي استوفي هذا العرض أن أشير الى أن لدينا توافقين رئيسيين : توافق أكبر وتوافق أصغر . وعندي أن الاثنين ليس لهما في الخاتمة نفس القيمة الانسجامية واذا كان الثالث مؤتلف كالتوافق الاكبر من غير شك ، فالتوافق التام الاصغر يبدو لي كعنصر ضعيف نافر ، وأحسب ان ( باخ ) شعر بهذا عند ما ختم بتوافق تام أكبر قطعة مكتوبة بالتوافق الاصغر . وما دامت قوانين الموسيقى نفسها تسمح بخاتمة بالأصغر ، فعلينا ان نعترف بأن هذا النزوع الاولي نحو التوفيق يمكن ان يعبر عنه بصيغتين وإن كانت احدهما لا ترضينا تماماً . والتوافق الكامل هو الانسجام الوحيد الذي يعبر عن تمام الرضى والسعادة والشعور الكامل بالراحة . وهو خالد لأنه عبارة عن النقطة النهائية للتأليف الموسيقي ، كما انه لا يدع مجالاً لالهام ما بالتغير



ويشترك المستمع بحساسيته في هذا الميل الدائم الذي ذكرناه، وهو نزوع ينتقل من الانفعال الى الهدوء، ثم الى السكينة النهائية المحددة. ولكن ينبغي علينا ان نميز تمييزاً دقيقاً بين ما تعبر عنه الموسيقى بذاتها وما يعبر عنه الملحن خلال الموسيقى. فهاهنا الموسيقى كما أشرنا هي في هذا النزوع من التنافر الى الاستقرار، وهي تبلغ ذروتها بانتهائها بالانكشاف. وهكذا تناجينا الموسيقى بميل نحو التهدة وان كان هذا لا يمنع الملحن من استخدامها لكي يعبر لنا عن العذاب وسوء التفاهم والتمرد واليأس

وهذا مماثل لما يحدث في مجال آخر، فقانون الثقل والجاذبية العامة يتحكم في المادة، غير أن هذا لا يمنع جسمًا في وزن هائل كالطائرة من الارتفاع في طبقات الجو والبقاء فيها فالتشابه تام في الحالتين: وهو في تغلب قوة الإنسان على القوانين الجوهرية لعنصر من العناصر

وكما أن الإدراك الصحيح العميق لقانون الجاذبية، في حالة الطيران، يسمح بالتحكم في هذا القانون وبالتحكم من التخطيط، كذلك تقبين بحلاء طبيعة الموسيقى الصادقة، باستعمال القوانين التي تنظم السياق الموسيقي استعمالاً جريئاً لكي يتسنى للروح أن تعبر عن نفسها بحرية. « الى أعلى » « الى اليمين » « الى اليسار » هذه الاتجاهات التي تخضع لها الطائرة أثناء تحليقها، على حين قانون الثقل التي تغلبت عليه يلزمها بالهبوط نحو الأرض. ان التعبير عن فيض العواطف يصاغ في لغة موسيقية، وتكون التهدة في هذه اللغة عبارة عن قانون أصابه شيء من التعديل. فقد يرغب الملحن في التعبير بالموسيقى عن العذاب وهذه تردد في الوقت نفسه، همسة من الفرح يكون أثرها أقوى من رنات الملحن الأصلية. فهو يستطيع أن يردد « لا » عنيفة صاخبة، غير أن اللغة التي يستخدمها لهذا الغرض قد تترنم « بنعم » في صوت يدرك بعناء، ولكنه يكون أشد وقعاً في النفس. والمرور، كما يقول نيتشه، أعمق تغلغلاً في النفس من الألم، وعلى هذا تكون « رسالة المرور » للموسيقى، من حيث هي موسيقى، أشد جلجلة في النفس من الآلام العديدة التي تحاول الموسيقى أن تفسرها وفقاً لإلهام الملحن. وفي هذا التجلي الشامل الذي يثيره الهناء الداخلي الناشئ من التهدة العامة، تجد علة أساسية للسعادة التي تحملها الموسيقى الى المستمع. فعند ما نصغي الى الموسيقى نجد أن ميلنا الشديد ورغبتنا العميقة في الانسجام بمعناه العام — يتحققان ويتأيدان ثم يهدآن. وبهذا المعنى تبدو لي الموسيقى رسالة لها قيمة خلقية طالية تحمل من عالم الأصوات الذي تعشاه الأسرار انجيل السعادة الى وجودنا الخلقى

« يتبع »



# الحيوان المنسي

للاب أنستاس ماري الكرملي

﴿ تمهيد ﴾ — زريد بالحيوان المنسي ذلكم الحيوان الذي لم يذكره علماءؤه في مؤلفاتهم ، أقدمين كانوا أم محدثين ، إما نسياناً ، وإما إهمالاً ، وإما جهلاً لحقيقته أو اسمه أو لسبب آخر لا نعرفه وربما ذكره بعضهم ذكراً لا يتحصل منه فائدة تذكر ، كقوله مثلاً : حيوان ، أو طائر ، أو حشرة ، أو سمك ، أو أهامة ، أو نحو هذه الألفاظ العامة التي لا تُسمن ولا تُغني من جوع

وقد عنيانا كل العناية للوصول الى نتيجة يدينة ، لمقابلة الألفاظ بما ورد من جنسها في اللغات الأجنبية ، ان كان هناك ما يشابهها أو يبيّن حقيقتها . وقد اعتمدنا في ذلك كله على معجمنا الكبير المسمى « المساعد » ، وكنا قد ابتدأنا به منذ سنة ١٨٨٣ ، أي منذ نحو من ستين سنة ، ونحن لا زال نشغل به ، إذ العمر لا يكفي ، ولو كان عمر نوح

هذا ونحن لا زاعي فيه ترتيباً ، لأننا نعالج الموضوع بموجب ما يحضرنا من اللفظ ، فننتقل من وصف دابة ، الى دويبة ، الى طائر ، الى سمكة ، الى حشرة ، إذ الغاية الأولى والقصوى التحقيق والتدقيق ، لا الترتيب ولا التبويب ، إذ هذه الامور تأتي بعد الجمع والتأليف لا غير . وعليه نبتدىء بحثنا من الطائر الآتي ذكره .

## الهرم والاطيش

﴿ توطئة ﴾ — ذكرنا غير مرة في الصحف والمجلات ان في لغتنا الصادية ، ألفاظاً لا يهتدى الى معرفة حقيقتها إلا بشق الانفس . وفي بعض الاحيان ، قد يصرف الباحث أياماً ، بل شهوراً ، لا بل سنين ، ليعرف مؤدّى الحرف الذي يبحث عن معناه ، فلا يرجع إلا مورقاً<sup>(١)</sup> ، أو يعود بما عاد به حينئذ . وهذه الأوضاع تشمل ما يتعلق بالحيوان ، والطيور ، والسمك ، والنبات ، والجماد . فيعرف الشيء الفلاني بقول اللغويين : حيوان ، أو

(١) يقال أورك الصائد : اذا لم يصد . وأورك الطالب : لم ينل . وأورك الغازي : لم يغم



طائر ، أو سمكة ، أو نبات ، أو معدن ، وكل ذلك لا يفيد فائدة تهدي الباحث الى ضالته وربما كان ذلك اللفظ يتعلق بصناعة ، أو فن ، أو علم ، أو عادة ، كان ذلك معروفاً في عصر من العصور ، أو بلد من الديار العربية اللسان ، أو قبيلة من قبائل العرب ، لكنه لم يسجل معناه في العهد الذي كان يعرفه الجميع ، فذهب أصحابه ، وانقرض من كان يعرف معناه ، فبقينا اليوم ممن كان في سبحات وجه الله

ومن جملة الألفاظ التي كنا نتسقط معرفتها ، وتنصيّد معانيها في زواياها وخباياها ، ونبدل السعي للوقوف عليها ، ألفاظ جمة في علم الحيوان في مختلف أقسامه ومن جملتها : ( الأطيش ) و ( الصر ) ، فكنا نقول : ما هذا الاول ، وما هذا الثاني ؟ وما يقابلهما عند العلماء وأبناء الغرب ؟ . أما الآن فنظن أننا قد وجدنا ضالّتنا — على ما يخيل إلينا — فجئنا نكشف بها قراء المقتطف مهدين حقائق العلم الى عشاقه ، ليرو رأيتهم ، ويكشفونا بما يعنيهم ، ويفندوا قولنا ، ويصلحوا أودنا . فنقول :

﴿ الأطيش ﴾ — حاولنا أن نعرف رأي اللغويين عند تعريفهم هذا الطائر . واكبر معجم بيدنا هو تاج العروس ، فرأيناه يقول في مادة ( ط ي ش ) ، ما هذا نصه بحروفه : الأطيش طائر ، وكأنه تخفته وكثرة اضطرابه انتهى — وفي الاوقيانوس ما نقله : الأطيش زنة احمر : اسم طائر . اه — وفي لسان العرب — وهو معجم عربي فارسي ضخّم في أربعة مجلدات كبيرة — ما معناه الأطيش : اسم طائر . اه — وفي حياة الحيوان الكبرى للدميري : « الأطيش طائر . قاله ابن سيده . اه . وقد تصفحنا أسفاراً عديدة ، فلم نجد فيها أكثر من هذا القدر . وما زاد عليه بعضهم هو من مخترعاتهم إذ لا يقوم على أساس قويم . وقد وجدنا نحن ما يوضح الآن معناه ايضاحاً يدفع كل شبهة

﴿ كيف اهتدينا اليه كتبها ﴾ — طالعنا في كتاب الامتاع والمؤانسة لأبي حيان النوحدي ج ١ في ص ١٤٤ س ١٣ هذه العبارة : « سمن بعروا ، وهي دابة بخراسان تسمن على التعب والشقاء -- فتعجبنا من غرابية هذا الاسم ومن غرابية كتابته بهذه الصورة المعيبة . وكنا قد قرأنا في سابق الأيام ان لهذه الدابة عدة أسماء ، ذكرنا منها اثنين في لغة العرب ( ٢٢٧ : ٦ ) وهما القطاس والخشقاء ونسبنا الاسم الآخر ، الا اننا كنا نتذكر انه ثلاثي الاحرف ، وعينه عين معجمة لكنه ذهب عن ذاكرتنا ، وكان الاسم مشهوراً عند العرب في صدر الاسلام ، فقلنا في نفسنا : لا بد من الاهتداء اليه ، اذ هذه أحسن فرصة لاصلاح الخطأ والاهتداء الى الحق . فأخذنا نتصفح حياة الحيوان الكبرى



لدميري في احدى نسخه الخطية الخمس التي عندنا لاننا كنا قد عثرنا عليه في احدى تلك النسخ ، فالفينا في حاشية الصفحة ٩ بجانب كلمة الاطيش هذه العبارة :

« هو طائر يشبه الصر كل الشبه ، ويألف الجماعة من أصحابه ، ويعطير دفتات ، ويألف الغياض والغابات ، ويستطيب زر السكتان ، ويعشش على صغار الأشجار كالجوز ، والكرم ، والرم ، والعوسج ، ونظائرهما ، وهو كثير الطيش ومنه اسمه » انتهى . فتركنا الى وقت آخر البحث عن مترادف الخشقاء ، وتابعنا تحقيق الاطيش ، فظهر لنا انه السمي بالانكليزية Linnet وان الصر هو Canary Bird ، فاصطدنا عصفورين بحجر ، كما يقول بعضهم في أمثالهم . وهذا الصيد نفسه المفيد لم يكن منا قصداً ، بل نبهاً

٤ — ﴿ تحلية الاطيش ﴾ قال لاروس في معجمه الوسط : الاطيش المبذل ( ولسان العلم Linaria Cannabina مبثوث في اوربة كلها ، اللهم الا في أقصى الشمال ، فانه يرى عوضاً عنه ، نوع مجاور له ، هو الاطيش الاصفر المنقار Linaria flavirostris والاطيش المبذل طائر حسن ، أريد ، أسمر ، ورأسه وصدره معلان بأحمر زاه في الذكر ، الا ان هذا اللون يخضر في الطيور الأسرى ، والانات هذا والاطيش من آكلة الحبوب خلقة ، وقد انشأ العلماء ردّي جنس لبعض الأنواع مثل الاطيش الشمالي ( واسمه العلمي Degiothus linaria ) ومأواذ أقصى شمالي اوربة وأميركة ، واطيش البلاد المتحدة Leucostide Tephrocotis » اهـ

وقد أجمع علماء الطير في جميع البلدان على ان غذاء هذا الطويّر أنواع البزور ولا سيما زر السكتان ومن ذلك اشتقاق اسمه في لغاتهم Linotte أو Linnet و Linarta الذي معناه السكتاني او آكل زر السكتان ويعشش على الجفان وصغار الأشجار . والفرنسيون يضرّبون المثل بطيشه فيقولون فلان أنزق من الاطيش ، ولسانهم Tête de Linotte

﴿ الصر ﴾ — لم نجد اسم هذا الطائر في القزويني ، ولا في الدميري ، ولا في المخصص ، لكننا وجدناه في القاموس ، وتاج العروس ، وهذا نصهما مدججاً ببعضه ببعض<sup>(١)</sup> : « الصر » بالكرم ( طائر كالعصفور ) في قبه ، ( أصفر ) اللون سمي بصوته . يقال : صر العصفور يصر : اذا صاح . وفي حديث جعفر الصادق : اطلع عليّ بن الحسين وأنا أتنف صراً . قيل : هو عصفور بعينه كما ورد التصريح به في رواية أخرى » انتهى — وهي عبارة صاحب النهاية بعينها ، وان لم يصرح الزبيدي بذلك ، اذ هذه عبارة ابن الاثير بنصها :

(١) ما كان بين هلاين هو كلام القاموس ، وما كان بلا هلاين هو نص التاج







## المآصر

في بلاد الروم والاسلام

— ١ —

لميخائيل عواد

### تصدير

من يطالع التصانيف العربية القديمة ، وخاصة ما وضعه وصّاف البلدان ومن طوّف في الأصقاع ، يجد أموراً شتى ، تتطلب منه الوقوف والتريث ، لما لها من الخطر ، وذلك استجلاءً لمعانيها التي كادت تخفى علينا الآن لبعده العهد بها ، واستيضاحاً لما كانت عليه في تلك العصور الخوالي

ونذكر اننا وقفنا منذ سنين على شيء من هذا القبيل يتعلق بضرب من المطاحن المائية ، كان يطلق عليه في العصور الاسلامية اسم « العروب » فرأينا أن نستقصي ما ورد عنها في كتب الأدب والتاريخ والبلدان ، فحصل لنا من ذلك شيء وفير ، مكسبنا من وضع بحث فيها ونشره (١)

وسننشر بحوثاً من هذا القبيل ، توضح ما جاء في تلك المؤلفات من مثل هذه المصطلحات والأوضاع التي كانت يومذاك أمراً مفهوماً معروفاً بين أكثر الناس ، ثم تعيّرت الأحوال خفي معناها واستبهم مدلولها أو كاد

وها نحن أولاء نبعث في ناحية لا نظن أن أحداً من الكتبة المحدثين قد طرق بابها ، نعي بها « المآصر » النهرية والبحرية ، فنقول :

كان مما عني به أولئك البلدانون ، النغور المتوسّدة سواحل البحار ، فوصفوها بما أوتوه من علمٍ ومعرفة ، وخصّوها موائها بقسط وافٍ من هذا الوصف ، تلك الموانئ



العجيبة التي كانت تعجّ بالسفن الذّاهبة والقادمة والرامية . ولا عجب من قول بعضهم في صفة ميناء أطرابلس ، بأنه ميناء « عجيب يحتمل ألف مركب <sup>(١)</sup> » ، وإن « المراكب تحطّ فيه ليلاً ونهاراً ، وترد بالتجارة على مرّ الأوقات والساعات صباحاً ومساءً ، من بلد الروم وأرض المغرب بضروب الامتعة والمطاعم <sup>(٢)</sup> »

وأهم ما يسترعي الاهتمام في كثير من هاتيك الموانئ ، وجود سلسلة ضخمة من الحديد تعترض الميناء فتحدّه من جهة البحر ، راسخ أحد طرفيها في صخرة مرتفعة مشرفة على جانب الميناء ، وربط طرفها الآخر بقفل محكم الصنع وُضع داخل برجٍ مطل على الميناء من جهته الثانية ، ويجلس في البرج المذكور شخص يطلق عليه اسم « صاحب القفل » عنده الأمر والنهي في خروج السفن من الميناء ودخولها اليه ، فيعمل على رفع السلسلة ، أو على خفضها وشبهه بهذا ما كان يجري في بعض الأنهار ، غير أنه كثيراً ما استبدلت السلاسل بالقلوس ، والأبراج بالسفن النهرية ، كما سيبيح تفصيله

ويطلق على هذه كلها « المآصر » ، وكانت الثغور ذات المآصر تتمتع ، من جهة البحر ، بسلام لا يضارعه فيها إلا تلك المدن التي تحيطها الأسوار ويحرسها الخراس ، فالمآصر إذن الحصن الحصين لبعض الموانئ وسدّها المنيع ، تدفع به عنها كل غزو يأتيها من جهة البحر وكانت الضرائب والعشور تجبّ عند هذه المآصر على كل مالٍ وطعامٍ وحيوانٍ وغير ذلك مما يدخل البلاد أو يخرج منها على ما سنّيته في مطاوي بحثنا

## ١ - المآصر النهرية

### (١) المآصر في كتب اللغة وأمثالها

يعتبر الصحاح للجوهري ( المتوفى سنة ٣٩٣ للهجرة ) ، من أقدم المعاجم التي ذكرت المآصر . فقد قال في مادة ( أ ص ر ) ما نصه : « أصر : أصره يأصره أصرأ حبسه ، والموضع مأصر ومأصير ، والجمع مأصر ، والعامّة تقول معاصر <sup>(٣)</sup> » ويقول الراغب الأصفهاني ( المتوفى سنة ٥٠٢ هـ ) في مادة ( أ ص ر ) : « الأصر عقد

( ١ ) البلدان لليعقوبي ( ص ٣٢٧ طبعة دي خويه ، ليدن )

( ٢ ) صورة الارض — المسالك والممالك — لابن حوقل ( ص ٦٩ طبعة كريمز ، ليدن )

( ٣ ) الصحاح ( ١ : ٢٨٠ ، بولاق )



الشيء وحبسه بقره ، يقال أصرته فهو مأصور ، والمأصر والمأصير محبس السفينة (١) «  
وفي أساس البلاغة للزحشري ( المتوفى سنة ٥٣٨ هـ ) في مادة ( أ ص ر ) ايضاً قوله :  
« . . . ومضى فلان الى المأصر وهو مفعول من الاصر ، أو فاعل من المصير بمعنى الحاجز .  
ولعن الله أهل المأصر أو الموأصير (٢) »

وجاء ابن منظور ( المتوفى سنة ٧١١ هـ ) فأفصح لنا أموراً لم يذكرها من سبقه من  
أرباب اللغة . فقد قال في مادة ( أ ص ر ) ما هذا بحروفه ، مع ترك الاجابة لنا به في  
موضوعنا : « . . . والمأصر هو مأخوذ من أصره العهد انما هو عقد ليحبس به . . . ،  
الكسائي : أصرني الشيء بأصرني أي حبسني ، وأصرت الرجل على ذلك الأمر أي حبسته ،  
ابن الاعرابي : أصرته عن حاجته وعما أردته أي حبسته ، والموضع مأصير ومأصير ،  
والجمع مأصر ، والعامّة تقول معاصر . . . ، والمأصر يمد على طريق أو نهر يؤصر به  
السفن والسبالة ، أي يحبس لتؤخذ منهم العشور (٣) » اهـ

أما الفيروزآبادي ( المتوفى سنة ٨١٧ هـ ) فقد أشار اليها في مادة ( أ ص ر ) اشارة  
خفيفة بقوله : « والمأصر كجلبس ومرقد الحبس . ج : مأصر ، والعامّة تقول معاصر (٤) . »

وتلاه السيد مرتضى الزبيدي صاحب التاج ( المتوفى سنة ١٢٠٥ هـ ) فذكرها ايضاً في مادة  
( أ ص ر ) ملخصاً أقوال بعض من تقدمه قال (٥) : « . . . والمأصر مفعول من الاصر أو  
فاعل من المصير بمعنى الحاجز . ولعن المأصر ، هكذا في الأساس ولم يفسره ، وفي اللسان :  
والمأصر يمد على طريق أو نهر يؤصر به السفن والسبالة أي يحبس ليؤخذ منهم العشور . . . »

قال نصر الهوري في تعليق له على ما جاء في التاج : « قوله ولعن المأصر كذا بخطه ،  
والذي في الأساس : ولعن الله أهل المأصر أو الموأصر . اهـ . وقوله : ولم يفسره تفسيره هو  
ما ذكره عقبه عن اللسان »

وقد نبهنا أبو منصور موهوب الجواليقي ( المتوفى سنة ٥٣٩ هـ ) الى خطأ شائع في  
لفظ المأصر ، وقع فيه أكثر اللغويين الذين تطرقوا الى ذكرها ، فقال : « . . . وهو  
المأصر بكسر الصاد ، وفتحها خطأ . ومعنى المأصر في اللغة الموضع الحابس من قوهم :

( ١ ) المفردات في غريب القرآن ( ص ١٧ ، المطبعة الميمنية ) ( ٢ ) أساس البلاغة ( ١ : ١٤ ) ، طبع  
دار الكتب المصرية ( ٣ ) لسان العرب ( ٨٠٠ : ٨٢ ، بولاق ) ( ٤ ) القاموس المحيط ( ١ : ٣٦١ ،  
بولاق ، الطبعة الثالثة سنة ١٣٠١ هـ ) ( ٥ ) تاج العروس ( ٣ : ١٥ )



أَصْرَتْ قَلَانًا عَلَى الشَّيْءِ أَأَصْرَهُ أَصْرًا إِذَا حَبَسْتَهُ عَلَيْهِ وَعَظَمْتَهُ» (١)

وَمِنْ ذِكْرِهَا أَيْضًا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ يَوْسُفَ الْكَاتِبِ الْخَوَارِزْمِيِّ (الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٣٨٧ هـ) ، فَقَدْ قَالَ فِي تَعْرِيفِهَا : « الْمَأْصَرُ : سِدْسَةُ أَوْ حَبْلٌ يَشُدُّ مُعْتَرِضًا فِي النَّهْرِ ، يَمْنَعُ السَّنَّ مِنَ الْمَضْيِ » (٢)

هَذَا ، وَقَدْ نُسِبَ إِلَى الْمَأْصَرِ نَفَرٌ مِنَ النَّاسِ . قَالَ الْقَاضِي أَبُو سَعْدٍ عَبْدِ الْكَرِيمِ السَّمْعَانِيُّ (الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٥٦٢ هـ) فِي مَادَّةِ ( الْمَأْصَرِي ) : بِفَتْحِ الْمِيمِ وَالضَّادِ ( كَذَا ، وَالصَّوَابُ الصَّادُ ) الْمَكْسُورَةُ بَيْنَهُمَا الْأَلْفُ وَفِي آخِرِهَا الرَّاءُ . هَذِهِ النِّسْبَةُ إِلَى مَأْصَرٍ ، وَسَأَذْكَرُ السَّبَبَ فِيهِ . وَالْمَشْهُورُ بِهَذِهِ النِّسْبَةِ أَبُو بَشَرٍ يُونُسُ بْنُ حَبِيبٍ بْنُ عَبْدِ الْقَاهِرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عُمَرَ بْنِ قَيْمَسٍ بْنِ أَبِي مُسْلِمٍ الْعَجَلِي الْمِصْرِي ، كَانَ لَهُ مَحَلٌ عَظِيمٌ ، كَاتِبُهُ الْمُعْتَزُ بِاللَّهِ كِتَابًا بِالنَّظَرِ فِي أَمْرِ مُتَطَلِّمٍ تَطَلَّمَ إِلَيْهِ ، وَهُوَ ابْنُ أُخْتِ حَبِيبٍ بْنِ الزُّبَيْرِ الَّذِي رَوَى عَنْهُ شُعْبَةُ وَكَانَ يَنْزِلُ الْمَدِينَةَ وَكَانَ أَبُو مُسْلِمٍ مِنْ سَبِي الدَّيْلَمِ ، سَبَاهُ أَهْلُ الْكُوفَةِ وَحَسَنَ إِسْلَامُهُ فَوُلِدَ لَهُ قَيْسُ الْمَأْصَرِ ، وَيُقَالُ أَنَّهُ مَوْلَى لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ثُمَّ وَلَاهُ الْمَأْصَرُ ، وَكَانَ أَوَّلُ مَنْ مِصْرَ ( كَذَا وَالصَّوَابُ مَأْصَرُ ) الْفَرَاتِ وَدَجَلَةَ ، فَهِيَ قَلَيْسُ ( كَذَا ، وَالصَّوَابُ قَلِيسُ ) الْمَأْصَرِ . وَالنِّسْبَةُ إِلَيْهِ مَأْصَرِي . وَكَانَ مِمَّنْ خَرَجَ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْأَشْعَثِ إِمَامَ الْحِجَابِ مَعَ الْقُرَاءِ ، فَلَمَّا هَزَمَ ابْنُ الْأَشْعَثِ هَرَبَ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَعُمَرُ بْنُ قَيْمَسٍ مَعَ أَهْلِهِ إِلَى أَصْبَهَانَ وَأَقَامَ عُمَرُ بْنُ قَيْسٍ الْمَأْصَرِ بِالْكُوفَةِ . . . . . فَهَذِهِ قِصَّةُ قَيْسِ الْمَأْصَرِ ، وَأَمَّا أَبُو بَشَرٍ يُونُسُ بْنُ حَبِيبٍ . . . قَلَّتْ تَوْفِي قَبْلَ الثَّلَاثَةِ » (٣)

وَاخْتَصَرَ هَذَا الْكَلَامَ جَلَالُ الدِّينِ السِّيُوطِيُّ (الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٩١١ هـ) فَقَالَ : « الْمَأْصَرِي : بِكَسْرِ الْمُهْمَلَةِ وَرَاءَ إِلَى قَيْسِ الْمَأْصَرِ ، لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ مِصْرَ ( كَذَا ، وَالصَّوَابُ مَأْصَرُ ) الْفَرَاتِ وَدَجَلَةَ » (٤)

هَذَا جَلَّ مَا وَقَفْنَا عَلَيْهِ بِشَأْنِ الْمَأْصَرِ فِي الْأَسْفَارِ اللُّغَوِيَةِ الْقَدِيمَةِ ، وَأَمَّا مَا جَاءَ عَنْهَا فِي الْمَعَاجِمِ الْحَدِيثَةِ ، فَلَا يَعْدُو أَنْ يَكُونَ تَكَرَّرًا لِمَا سَبَقَ لِأَنَّهُ فِي الْحَقِيقَةِ مَنْقُولٌ بِرِمْتِهِ عَنْ هَاتِكَ التَّصَانِيفِ الْقَدِيمَةِ . وَمِنْ ثَمَّةِ اكْتَفَيْنَا بِالْإِشَارَةِ إِلَى ذَلِكَ دُونَ أَنْ نَعْمِدَ إِلَى إِيْرَادِ مَا جَاءَ فِيهَا» (٥)

(١) تَكَلُّفٌ إِصْلَاحٌ مَا تَغْلَطُ فِيهِ الْعَامَّةُ ( ص ٤٨ طَبْعُ دِمَشْقِ ) (٢) مَقَاتِيحُ الْعُلُومِ ( ص ٧٠ طَبْعَةُ قَانُ فُلُوتُ فِي لَيْدِنِ ) (٣) الْأَنْسَابُ ( الْوَرَقَةُ ٥٠٢ ب ، نَشَرَهُ مَرْجُلِيُوثُ ، لَيْدِنُ ) (٤) لِبِ الْبَابِ فِي تَحْرِيرِ الْأَنْسَابِ ( ص ٢٣٤ طَبْعَةُ فَاتُ ، لَيْدِنُ سَنَةَ ١٨٤٠ ) (٥) أَنْظَرُ مَثَلًا : مُحِيطُ الْبَيْطَرِ الْبُسْتَانِي ( ١ : ٢٥ ) ، أَقْرَبُ الْمَوَارِدِ لِسَعِيدِ الشَّرْتُونِي ( ١ : ١٢ ) ، الْبُسْتَانُ لِعَبْدِ اللَّهِ الْبُسْتَانِي ( ١ : ٤٤ ) ، دَائِرَةُ مَعَارِفِ الْقَرْنِ الْعِشْرِينَ لِمُحَمَّدِ فَرِيدِ وَجْدِي ( ١ : ٣٨٤ ) مَادَّةُ ( أ ص ر ) ، مَعْجَمُ لَيْنِ : ج ١ ص ٦٣



## (ب) المآصر في كتب البلدان

ان أفصح الأنباء التي اتصلت بنا بصدد المآصر النهرية ، ما أخبرنا به ابن رسته (الذي صنف كتابه في سنة ٢٩٠ للهجرة) في كلامه على الطريق بين بغداد والبصرة ، فقد أوضح لنا ماهيتها ، وشرح طريقة استخدامها ، ودونك ما قاله : « من بغداد الى المدائن ومن المدائن الى دير العاقول ، ومنه الى جرجرايا ، ومنه الى جبل ، ومنه الى قم الصلح ، ومنه الى واسط ومنه الى نهر بين ومنه الى الصيفية ومنه الى الحوانيت ومنه الى القطر . وهذه القرى من واسط الى هذا الموضع كلها شرقي دجلة . وبالحوانيت <sup>(١)</sup> أصحاب السيارة <sup>(٢)</sup> والمآصر من قبل السلطان . والمآصر ان تشد سفينتان من أحد جانبي دجلة وسفینتان من الجانب الآخر وتشد السفن على شطرين . ثم تؤخذ قلوس <sup>(٣)</sup> على عرض دجلة وتشد رأسها الى السفن لثلاث تجوز السفن بالليل » <sup>(٤)</sup>

وقد ذكرها ابن رسته في موطن آخر من كتابه بقوله : « وبدير العاقول مسجد جامع وأسواق ومآصر ، وبها أصحاب السيارة ومآصر على دجلة » <sup>(٥)</sup>

\*\*\*

## \* الذيل \*

(١) السيارة : « ضرب من السفن . وجاءت صحيحة بصورة (شبارة) في تاريخ الطبري في غير موطن . وجاء في معجم دي خويه (ص ٣٠٣) في آخر كتاب الطبري : هي

(١) ذكرت الحوانيت في : المسالك والممالك لابن خردادبة (ص ٥٩ طبعة دي خويه في لندن) ، وتاريخ الطبري (٣ : ١٨٥٨ ، ١٨٩٩ ، ١٩٠٠ ، ١٩٠٢ ، ١٩٠٣ ، ١٩٠٦ ، ١٩١٧ ، ١٩٢٢ ، ١٩٦٥ ، ١٩٦٦ ، طبع أوربة) ، وعجائب الاقاليم السبعة لسهراب (ص ١١٨ طبعة مترك ، فينة = ص ٩ من طبعة لسترنج في المجلة الاسيوية البريطانية )

(٢) السيارة « انظر الذيل » رقم ١

(٣) قلوس « انظر الذيل رقم ٢ »

(٤) الاعلاق النفيسة (ص ١٨٤ — ١٨٥ طبعة دي خويه ، لندن )

(٥) الاعلاق النفيسة (ص ١٨٦ )



السُّمَيْرِيَّات ، لأن مسكويه يذكر السُمَيْرِيَّات في حين غيره يقول الشُّبَارَات . وعليه فالشُّبَارَةُ هي الرواية الصحيحة . (انظر تكملة المعجمات العربية لدوزي) — والشُّبَارَةُ ضرب من السفن الصغيرة كانت في أيام الخلفاء العباسيين في دجلة والفرات . قال ابن العبري ( مختصر تاريخ الدول ص ٤٤٢ طبعة صالحاني ) : « وفيها ( سنة ٦٤٠ للهجرة ) توفي الامام المستنصر بالله الخليفة ببغداد ... ومن شدة غرامه بدمرسته المعروفة بالمستنصرية ، أمر لصقها ببستاناً خاصاً له ، فقلَّ ما يمضي يوم الاّ ويركب في السيارة ويأتي البستان يتنزه فيه ... » ( عن « الساعد » — بتصرف — ، وهو معجم لا يزال مخطوطاً ، للأب أنستاس ماري الكرملي ) ونحن نضيف الى ما تقدم قول الطبري ( ٣ : ١١٧٤ ) : « ... ويصير أبو سعيد ومن معه الى خس ، ثم الى عسكر الافشين ، فتلقاه صاحب سيارة الافشين .... »

وذكرها هلال الصابئ ( رسوم دار الخلافة ص ١٤ ، المخطوط ) في جملة أصناف السفن في دجلة سنة ٣٠٥ هـ حين قدوم رسول ملك الروم . قال : « ... وفي دجلة الشذات والطيارات والزبازب ( و ) السيارات والزلاّلات والسُّمَيْرِيَّات بأفضل زينة وعلى أحسن تعبئة .... »

وقول الشريف الادريسي ( مختصر نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ص ٣٨ طبع رومة سنة ١٥٩٢ م ) : « .... وتدخلها المراكب السيارة .... »

وذكرها غير مرة مسبط بن الجوزي ( المتوفى سنة ٦٥٤ هـ ) . قال في ترجمة الوزير أبي الفرج محمد بن عبد الله بن هبة الله بن المظفر رئيس الرؤساء : « .... فلما كان يوم الأربعاء رابع ذي القعدة ركب في سيارة وعبر في دجلة الى الجانب الغربي وجميع أهل بغداد من الجانبين يدعون له ويبكون عليه لأنه كان محسناً إليهم .... ولما صعد من السيارة عند القلعة وأرباب الدولة بين يديه بأسرهم ... » : « مرآة الزمان ٨ : ٢٢٠ حوادث سنة ٥٧٣ هـ طبعة جويت ، شيكاغو )

وقال في احداث سنة ٦١٤ هـ : « وفيها زادت دجلة زيادة عظيمة ، وركب الخليفة في سيارة وخطب الناس يتأوه لهم ويقول : لو كان هذا الماء يرد بمال أو حرب دفعته عنكم : « ( مرآة الزمان ٨ : ٣٨١ )

(٢) القلوس واحدها القلس وهو على ما في تاج العروس<sup>١</sup> (مادة : ق ل س) : حبل منخضم من ليف أو خوص . قال ابن دريد ( الجمهرة ٣ : ٤٢ : فأما القلس الذي يتكلم به أهل



العراق من هذه الجبال) لا أدري ما صحته ، أو هو جبل غليظ من غيرها من قلوب سفن البحر ولو قال من قلوب السفن كان أصاب في حسن الاختصار فإن السفن لا تكون إلا في البحر ويروى أيضاً القلاس بالكسر وهكذا ضبطه ابن القطاع . . . . . يقال قلس السفينة يقلسها إذا ربطها بالقلس . . . »

وتستخدم القلوب لأغراض شتى منها لتثبيت الجسور . قال هلال الصابي ( تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء ص ٢١ طبعة أمدرود ) : « نفقات الجسرين وثمان ما يبذل من سفنهما والقلوب وأرزاق الجسارين من جملة ثلثمائة دينار في الشهر عشرة دنانير »

ويتخذ الملاحون لسفنهم النهرية كما ذكر ذلك القاضي التنبوخي ( نشوار المحاضرة ١ : ٢٠٦ طبعة مرجليوث ) في معرض كلامه على أخبار جحظة البرمكي . قال : « . . . قال : وأخبرني أنه كان معه في حديدي ( وهو ضرب من السفن في العصر العباسي ) لابن الحواري وقد حملهم إلى بلاشكر ليتفرجوا والحديدي يمهده الملاحون بالقلوب »

واتخذت القلوب لبعض الأغراض في إقامة الأفراح ، من ذلك ما ذكره صاحب التكملة في حوادث سنة ٣٥٩ هـ ( أنظر تجارب الأمم ٦ : ٢٦٩ ، حاشية ١ ) قال : « وعمل ( أبو الفضل العباس بن الحسين الشيرازي ) دعوة لمعز الدولة . . . وقطع دجلة من فوق الجسر إلى دار الخلافة بالقلوب الغلاظ ، وطرح الورد فيها حتى ملأها وغطا ( كذا ) دجلة . . . »

ولمحماسن أصداد ، فقد اتخذت القلوب للضرب والتعذيب والقصاص . فمن جملة أخبارها في هذا الصدد ما حكاه المسعودي ( مروج الذهب ٨ : ١٥٤ طبعة باريس ) : « . . . فضربه بالسوط والقلوب والمقارع والدرّة على ظهره وبطنه وقفاه ورأسه وأسفل رجليه وكعابه وعضله ، حتى لم يكن فيه للضرب موضع ، وبلغ به ذلك إلى حالة لا يعقل ولا ينطق . . . »

وكذلك ما ذكره مسكويه وهلال الصابي في عرض كلامهما على ابن الفرات ( تجارب الأمم ٥ : ١٣٦ ، سنة ٣١٢ هـ ، وتحفة الأمراء ص ٥٩ ) ، قال : « . . . فأوقع نازوك المكاره بالمحسن حتى تبدو بدنه ، ولم يبق فيه فضل لضرب . وضرب ابن الفرات ثلاث دفعات بالقلوب فلم يعط شيئاً . . . »

« يتبع »



# كف القرد<sup>(١)</sup>

## قصة

لوديع فلسطين

في ليلة من ليالي الشتاء الباردة ، وفي الصالون الصغير بشيلا « لوبرنام » جلس الأب وابنه يلعبان الشطرنج ، وقد أسدلت الستائر وأوقدت المدفأة ، فلعب الوالد لعبة وضع فيها « الملك » في مركز حرج استوقف نظر السيدة العجوز الهادئة الجالسة الى الموقد تحيك بعض أشغال الأبرة . ولما أدرك الوالد غلظته متأخراً ، أراد تضليل ابنه كي لا يفطن اليها ، فقال : « انصت الى الريج »

فلم يحوّل الابن عينيه عن رقعة الشطرنج ، وأجاب : « اني منصت » ثم مدّ يده وقال : « كش الملك »

وخسر الأب المباراة ، فقالت له زوجته : « عسى أن تكسب المرة القادمة يا عزيزي » ورفع الأب — مستر هوايت — رأسه ، وألقى نظرة فاحصة تجاه الباب ، ثم هتف : « ها هوذا » ، وترك مقعده مسرعاً نحو الباب الخارجي ، وفتحته مرحباً بالضيف . فدخل الزائر ، وهو عملاق مديد القامة ، قدّمه مستر هوايت الى أسرته قائلاً : « السرجنت ماجور موريس » . فصافح الضابط أعضاء الأسرة ، ثم احتل مقعداً مجاوراً للمدفأة ، وأخذ يتأمل النار ، وأخذ الجميع يتناولون الشراب ويتسامرون . فشرب الزائر قدحاً ثم أتبعه بنان ، وثالث ، فأتسعت عيناه ، وشرع يفيض في الحديث ويطنب وقد أخذت الأسرة الصغيرة تراب هذا الزائر العريض المنكبين وهو يتمالك في مقعده ، راوياً ما شاهدته من المناظر الوحشية وما استوقف نظره من تصرفات الشعوب العجيبة ، وما علق بذكريته عن الحروب والأوبئة

وقال مستر هوايت ناظراً الى ضيفه مشيراً الى زوجته وابنه : « كان لما فارقنا منذ

(١) للكاتب الانجليزي و. و. جيكبز W. W. Jacobs وعنوان القصة Monkey's Paw.



اثنين وعشرين عاماً شاباً مهملًا منسيًا ، أما الآن فقد صار شيئًا . أنظرا اليه  
وعلقت مسز هوait على كلامه بلطف : « يبدو انه لم يخسر كثيرًا »  
وقال الكهل هوait : « كم أود أن أذهب الى الهند مثلك يا موريس كي أرسل بصري  
في أرجائها »

— « خير لك حيث انت » أجاب الضابط هازًا رأسه ، ثم وضع قدحه الفارغ أمامه ،  
وتأوه وتأوها خفيفًا ، ثم هز رأسه ثانية  
— « أريد أن أشاهد الهياكل القديمة وفقراء الهند وسحرتها . . . أكل ما كنت  
تحدثني عنه يومئذ يا موريس ، عن كف قردٍ أو شيء من هذا القبيل »  
— « لم أقل شيئًا يستحق الانصات اليه »

واستفهمت مسز هوait متعجبة : « كف قرد ؟ »  
فأجاب الضابط محاولاً التخلص من هذا الموضوع : « انه موضوع يجوز أن يمت بصلة  
الى السحر »

فبدا الاهتمام على السامعين الثلاثة ، واشربوا بأعناقهم الى الزائر ، الذي أفرغ قدح  
الشراب ، دون وعي في جوفه ، ثم أعاده ثانيًا الى مكانه ففلاه المضيف له  
وامستطرد الضابط باحثًا في جيوبه عن شيء : « اذا شاهدها وجدت انها كف صغيرة  
عادية ، جففها الزمن »

ثم أخرجه من جيبه وقدمها لهم . فراجعت مسز هوait فزعًا منها ، ولكن نجلها  
هربرت تناولها ، فاحصًا إياها باهتمام  
فأخذها مستر هوait من ابنه ، ونقصها بدوره ، ثم وضعها على المائدة مستفهماً : « أي  
غرابة في هذه الكف الضامرة ؟ وأي عجب يكتنفها ؟ »

أجاب الضابط : « انها تحمل رقية أحد الفقراء الهنود ، وهو رجل تقيّ  
ورع ، أراد أن يبرهن ان القدر يتحكم في حياة الناس ، وان الذين يعترضونه يفعلون ذلك  
لضررهم ، فعقد على الكف تعويذة كي يستطيع ثلاثة رجال متباعدين أن ينال كل منهم ثلاث  
رغبات منها »

وكانت حركات الزائر شديدة التعبير ، طاخة بالتأثير ، منعمة بالثقة ، حتى ان مستمعيه  
شعروا بأن مرحهم دبّ اليه القلق ، وضحكاتهم تطرق اليها الخوف  
ومأل هربرت هوait متخابثًا : « حسنًا ، ولماذا لا ترجو تحقيق ثلاث رغبات  
يا سيدي ؟ »



فنظر اليه الضابط نظرة فاحصة معبّرة ، وقد ابيضّ وجهه المنقبض ، وأجاب بهدوء :  
« لقد فعلت »

وهنا سألت مسز هوايت : « وهل نلت حقاً ما رغبت فيه ؟ »  
— « نعم » وقرع الزجاجاة على أسنانه القوية  
— « وهل رغبت آخر في شيء ؟ » سألت السيدة العجوز باصرار  
وكان جوابه : « الرجل الاول ، تحققت رغباته الثلاث . لست أعلم الرغبتين الاوليين  
منها ، ولكن الثالثة أدت الى الموت ، وهكذا حصلت على الكف »  
وكانت نعمة كلامه قوية جداً ، حتى خيم على الجماعة صمت رهيب  
وقال الكهل أخيراً : « اذا كنت قد نلت مرامك منها يا موريس ، فليس بك حاجة  
للكف . لماذا تحتفظ بها ؟ »

فهزّ الضابط رأسه ، وهمهم : « كانت لدي فكرة في بيعها ، ولكني لا أظن اني  
أفعل ذلك . لقد كانت سبباً لسكوارث كثيرة حتى الآن . أضف الى ذلك أن الناس لن  
يشتروها ، لأن بعضهم يظن انها خرافة طريفة ، والذين يعتقدون أن بها قوة يريدون أن  
يجربوها أولاً ، وينقدوني قيمتها بعد تجربتها »  
فسألت السيدة العجوز محدقة ببصرها اليه : « لو استطعت أن تحقق ثلاث رغبات  
أخرى ، فهل ترجوها ؟ »

فأجاب الضيف : « لست أدري . . لا أعلم »  
ثم تناول الكف ووضعها بين سبابته وإبهامه ، وقذف بها فجأة في الموقد ، فصاح  
هوايت صيحة حسرة ، ثم انحنى سريعاً وانتشلها من النار  
فقال الضابط موكداً : « خير أن تدعها تحترق »  
فأجاب هوايت : اذا كنت زاهداً فيها يا موريس ، أعطني إياها  
— « كلا . لقد ألقيت بها في النار . واذا احتفظت بها فلا تلمني على ما قد يصيبك  
منها . ألقها في النار ثانية كرجل عاقل حكيم »

فهزّ هوايت رأسه ، وخص غنيمته الجديدة عن قرب ثم استنهم : « وكيف تستعملها ؟ »  
— « ارفعها أمامك في يمينك ، وردّد رغباتك بصوت مسموع . . . ولكني  
أحذرك العواقب »

فقال مسز هوايت وهي تهتم بمغادرة مكانها الى اعداد العشاء : « انها تذكري بقصص  
الف ليلة وليلة . . ألا تظن انه يمكنك أن تطلب لي أربعة أزواج ؟ »



وأخرج زوجها الطلمس من جيبه بعد أن دسّه ، وأخذ الثلاثة يضحكون . فأمسك الضابط بيده ، وظهرت على محياه نظرة تحذير ثم قال مشدداً : « إذا لم يكن من التخيّب بدّ فارح شيئاً معقولا »

فدسّها مستر هوait ثانية في جيبه ، ثم حوّل المقاعد وانتقل بضيفه الى المائدة . وقد أنساهم العشاء قصة الطلمس ، ثم عاد ثلاثتهم ينصتون الى حديث مغامرات الضيف في الهند وانصرف الضيف مشيعاً بتحيات مضيفيه

ثم تساءلت مسز هوait : « هل نقدته شيئاً عوضاً عنها يا أبت »  
— « مبلغ زهيد ، وقد رفض قبوله ، ولكنني ألححت عليه ، فقبل وقد أوصاني ثانية بأن أطوّح بالطلمس »

فقال هربرت : « منصبح أغنياء ... مشهورين ... سعداء . أرجو يا أبت أن تصبح امبراطوراً حتى لا تكون خاضعاً لأحد »

وأخرج مستر هوait الطلمس من جيبه وخصه بدقة ثم قال : « لست أدري ماذا أطلب . يبدو اني أملك كل ما يعوزني . »

فقال هربرت : « حسناً ، أرجو اذن الحصول على مائتي جنيه ، فان فيها لكفاية وريّاً »  
فاقتر وجه الوالد عن ابتسامة ، ثم رفع الطلمس في يمينه وقد جلس ابنه الى البيانو ، وأخذ يعزف بعض النغمات المثيرة ، وردّد الوالد بوضوح : « أرجو الحصول على مائتي جنيه »  
وإذ ذاك صدرت من دولاب الموسيقى نغمة حيّت كلمات الوالد ، ولم تخنقها سوى صرخة مفزعة داوية صدرت من الوالد الشيخ فحفت اليه زوجته وابنه

فصرخ : « لقد تحركت في يدي وأنا أردّد رغباتي ... تلوّت كالأفعى » ثم نظر الى الكفّ الملقاة على بساط الحجرة نظرة استياء وانقباض

فقال الابن ملتقطاً الطلمس وواضعاً إياه على المائدة : « أين المال ؟ انني لا أراه ، وأقسم بأنني لن أراه »

ونظرت الزوجة الى رجلها نظرة فاحصة ثم قالت « يبدو انك واهم ! »

فهزّ الرجل رأسه : « خيراً ، لم ينتج عنها ضررٌ ، ولكنّها رغم ذلك صعقتني »

ثم جلسوا الى المدفأة ثانية حتى أفرغ الرجلان غليونيتهما . وفي الخارج كانت الريح قد بلغت أشدها حين انتبه الكهل على صوت اقفال الباب بالدور الثاني من الشيّلا . ثم خيّم على الثلاثة صمت غريب رهيب ، حتى انصرف الرجل وزوجه أخيراً الى مخدعيهما



وأجاب الابن والده : أظن انك ستجد المبلغ مربوطاً على سريرك ، ومبتراقبك الاشباح حين تحبىء المال الحرام . .  
وجلس منفرداً في الظلام محققاً في النار التي ترسل زفرتها الأخيرة ، فترأت له فيها أشباح ، كان آخرها رهيباً جداً حتى أنه حدّق اليه دهشاً مذهولاً . وقد تجسّم له تجسّماً ناطقاً ، حتى صدرت منه ضحكة قلقة . ثم أخذ يتحسس المائدة بحثاً عن كأس من الماء كي يقذف بمحتوياته النار ، ولكن يده أصابت « كفّ القرد » ، فسحب يده سريعاً ، وأخذ يفرّكها على مئزرته ، وصعد الى مخدعه يسبق الريح

\*\*\*

وأشرقت شمس اليوم التالي تفتش مائدة الافطار ، فضحك هربرت متهاكاً مما كان يقض مضجعه اللبلة البارحة . وخيّم على الغرفة جوّ غريب لم يكن لها به عهد ، ولم تألف مثيله من قبل . أما الطلسم ، فقد وضع باهال على خزانة أدوات المائدة وقالت مسز هوايت : « أعتقد أن جميع الجنود سواء ، ولا سيما المتقدمون في السن منهم . ما كان يحسن أن ننصت إليه ، إذ كيف تتحقق الرغبات في هذه الأيام ؟ وإذا تحققت ، فكيف يصيبك يا أبت مبلغ مائتي جنيه ؟ »

فأجاب هربرت : « قد تمطرها السماء »

وهنا قال الوالد : « لقد حدثنا موريس أن الرغبات تتحقق بطريقة طبيعية جداً حتى يمكن نسبها الى المصادفات »

— « على كل حال ، لا تتحدثان في موضوع المال حتى أعود » قال هربرت هذا الكلام ثم انصرف تشيعه نظرات والدته حتى توارى في الطرقات . ثم عادت الى مائدة الافطار سعيدة متلهلة . ودق ساعي البريد الباب ، فأسرعت اليه ، واذا به يحمل اليها « صكاً » من « الخياط » فقالت معلقة على هذا : « سيجد هربرت في هذه الحادثة مادة طيبة للدعابة والتندر حين يعود من عمله »

فقال مستر هوايت ، وهو يصبّ بعض الشراب في قدحه : « أريد أن أقول رغم كل ذلك ان الظلم تمحرك في يدي . وأقسم بذلك »  
فقالت زوجته : « انك واهم »

— « لقد قلتُ انه تمحرك في يدي ، ليس في ذلك ادنى شك ... ما الامر ؟ »

فلم تنطق زوجته بجواب ، اذ كانت تتأمل حركات غريبة لرجل بالباب الخارجي ، كان الرجل يطل من نافذة الباب بحركات قلقة ، إقدام ثم إحجام وكان يبدو أنه يحاول حمل نفسه على



الدخول قمرآ . ووقف أمام الباب ثلاث مرات ثم ارتد ثانية . وفي المرة الرابعة ، تقدّم واضعاً يده على الباب ، وعلى حين فجأة استقرّ رأيه فدفع الباب وسار في الممر . وفي اللحظة عينها ، خلعت مسز هويات مئزرة المطبخ التي كانت ترتديها ودسّتها في بطانة مقعدها ، ثم خفت الى الزائر الذي كان يبدو قلقاً مضطرباً ، وأدخلته الحجرة . فحدّق اليها خلصة ، وأصغى الى اعتذارها عن فوضى الحجرة . ثم انصتت اليه تحاول الصبر ما استطاعت امرأة على ذلك ، ولكنه وقف أولاً صامتاً كالجمود ساكناً كأبي الهول وأخيراً فتح فيه ثم انحنى والتقط قطعة من القطن كانت عالقة بمرأيله : « لقد دعيت كي .... لقد أتيت من قبل شركة « مووميجنز » !

فصعقت السيدة العجوز وقالت وقد تقطعت أنفاسها : « هل في الأمر شيء ؟ هل حدث لهربرت أمر ؟ ما هو ؟ ما هو ... »

فندخل زوجها : مهلاً يا سيّدة . اجلسي ولا تسبقي الحوادث » ثم التفت الى الزائر قائلاً : « اني واثق بأنك لا تحمل اخباراً سيئة يا سيدي » فقال الزائر : « اني آسف .... »

فاستفهمت المرأة « هل أصابه شيء ؟ » فأخنى الزائر رأسه أسفاً : « أصيب أصابة خطيرة ، ولكنه لا يحسن الماء » فضمّت السيدة يديها ثم قالت : « آه شكراً يا الهي ... شكراً يا الهي لذلك ... شكراً ... »

وقطعت حديثها لما تبينت أن كلام الزائر يحتمل أن يطوي شراً ، وخاصة عندما أبصرته واجماً وتبينت الصراع الذي يكاد يمزق أحشاءه . فانقبض صدرها ، ثم تحولت الى زوجها ووضعت يدها في يده . ومضت لحظة صمت طويل وبعد جهد ، قال الزائر بصوت حبيس : « لقد التهمته الآلات » فأجاب مستر هويات مذهولاً بهول ما سمع : « التهمته الآلات ؟ » ... « نعم ... » ثم جلس مجدداً الى النافذة فاقدأ صوابه ، وأخذ يدي زوجها بين يديه ، وضغط عليهما كما كان يفعل منذ أربعين عاماً ..

وتحوّل الى الزائر قائلاً : « لقد كان آخر من بقي لنا ... يا للقسوة . » فتنحّج الزائر ، ثم قام واتجه صوب النافذة قائلاً : « لقد رغبت اليّ الشركة أن ابلسّكم تعزيتيها الصادقة وتقديرها لمصابكم الفادح » ودون ان يحوّل بصره قال : « أرجو أن تعلموا أني لست سوى خادمها ، أؤمر فأطيع »



ولم يكن لسكلامه من جواب سوى رجوع الصدى. وابتض وجه السيدة وزاغ بصرها وانقبض صدرها. أما زوجها فقد ظهرت على محياه علامات أعادت الى الذاكرة وجه الضابط في اليوم السابق، ثم أكمل الزائر حديثه قائلاً: «وأود أن أقول ان الشركة لا تتحمل مسؤولية ما حدث. ولكن نظراً لخدمات نجلكما، فهي ترغب في تعويضكم»

فأسقط مستر هوايت يدي زوجته، ثم قفز من مقعده وحدث الى الزائر مرتعباً، وعبرت شفاته الجافتين عن السؤال: «كم؟»

— «مائتين من الجنيهات» أجاب الزائر

ودون ان يلتفت الى صراخ زوجته، ابتسم الكهل ابتسامة خافتة، ومد يده كالضريح، ثم سقط على الارض كتلة فاقدة الحس

\*\*\*

في المقبرة الكبيرة الجديدة، على بعد ميلين، دفن الكهلان ابنتهما ثم عادا الى منزلها فارقين في صمت ووهم رهيبين. لقد مرت الحوادث متتابعة حتى إنهما لم يدركا صحتها أولاً وأصبحا في حالة انتظار كأنهما يتوقعان حدوث شيء آخر — شيء يستطيع أن يخفف الحمل الثقيل الذي ناء به قلباهما. ولكن الأيام مرت وابتدأ انتظارهم يستحيل فشلاً — فشل المتقدمين في السن الذي يسمونه خطأ: «بلادة». فكانا قلما ينطقان بكلمة، لأنهما لم يجدا ما يتحدثان عنه، وأصبحت أيامهما طويلة مملة

وكان بعد أسبوع من ذلك أن استيقظ الكهل فجأة في الليل، ثم مد يده ووجد نفسه وحيداً في فراشه. وكانت الحجرة دامسة الظلام، والرياح هب معولة في الخارج. جلس في ضده وانصت ثم اندفع يقول: «عُد! انك لا شك تعاني برودة الجو» فقالت الزوجة وقد استيقظت باكية: «ان ابني يرضيه البرد». ووصل صوت نحيبها الى اذنه، وكان الفراش كرفماً، والنوم يثقل جفنيه فاستلقى ونام الى أن ايقظته صرخة مفاجئة من زوجته:

— «كف القرد! كف القرد!»

فقفز استعداداً وقال: «أين هي؟ أين؟ ما الامر؟» ثم أقبلت اليه من مخدعها تتخبط في عرض الحجرة وقالت: «أريدها... هل أعدمتها؟»

— «انها على خزانة الفضيات... لكن لماذا؟» فصاحت ضاحكة، ثم انحنى وقبّلت



وجنتيه وقالت : « آه لقد خطرت عليّ الآن فقط.... لماذا لم تخطر على بالي من قبل ؟ ...  
لماذا لم تخطر على بالك أنت ؟ ... »

— « ماذا تعنين ؟ »

« الرغبتيان الاخريان ... لقد نلنا رغبة واحدة فقط » فقال الزوج : « أما كان فيما  
حدث عبرة لك ؟ »

فصاحت ظافرة : « كلاً ... سنطلب طلبة أخرى ... انزل واحضر لي الطلسم سريعاً  
وقمّ أن يعود ابننا حيّاً ... »  
فجلس الرجل في فراشه ، وطرح رداء نومه على قدميه المرتعشتين ثم صرخ ذاهلاً :  
« يا الهي ، .. هل جنفت ؟ »

— « احضرها ... احضرها سريعاً واطلب آه .. ابني ابني »

فأشعل زوجها ثقاباً أنار به الشمعة ثم نهرها : « عودي الى فراشك . انك لا تدريين  
ما تقولين »

فأجابت الزوجة محمومة : « لقد نلنا رغبتي الأولى ، فلماذا لا نرغب أخرى ؟ »  
فقال الكهل : « انها مصادفة »

فصرخت زوجه مرتعشة من الذشوة : « اذهب واحضرها واطلب ... »

فالتفت الكهل اليها واهتزّ صوته : « لقد مات لعشرة أيام خلت ، أضفي الى ذلك ،  
ولن أقول أكثر من هذا ، انني لن أستطيع معرفته إلاّ من ثيابه . اذ كان منظره مخيفاً  
يوم الحادث ، فكّم بالحري منظره الآن ؟ »

فصرخت الزوجة « هات الطلسم » ثم سحبتة الى الباب قائلة : « هل تظن اني أروّب  
الطفل الذي أرضعت ؟ »

فنزل في الظلام الى الدور الاسفل ، وأخذ يتحسس طريقه الى خزانة أدوات المائدة ،  
وكان الطلسم في مكانه ، ولكنّ خوفاً رهيباً خيّم عليه ، إذ كيف يستطيع أن يتمنى عودة ابنه  
مشوهاً اليه . فهرب من الحجرة منقبضاً ، وضلّ الطريق الى الباب ، وأخذ يتحسس طريقه  
حول المائدة ثم يزحف بجوار الحائط ، حتى وجد نفسه أخيراً في ممر صغير ، والطلسم  
الويل في يده ، والعرق يتصبب مفرقيه



ولما دخل الحجرة استحال وجهه وزوجه بياضاً يعبر عن بهجة الانتظار ، ولكنه لقرط خوفه ، تراجع منها رعباً

فصرخت بصوت عالٍ : « اطلب طلبتك »

— « عبثٌ باطل ! »

وصرخت ثانية « اطلب »

فرجع الرجل يمينه وقال : « اطلب عودة ابني حياً ثانية » وعلى أثر ذلك ، سقط الطلسم الى الارض وأخذ يتأمله مرتعداً . ثم غاص مرتعشاً في مقعد مريح بينما اتجهت زوجه الى النافذة ترفع ستائرهما وتطل منها بعينين ملتئميتين

\*\*\*

ظل الكهل مكانه حتى شعر بالبرد ، وكان يسترق البصر الى طيف زوجته وهي تطل من النافذة . وكانت الشمعة على وشك الاحتراق ، تلقي أشعتها الراقصة الاخيرة على جانبي الغرفة وسقفها ، حتى تلاشت . وزحف الكهل ، على أثر خيبة الطلسم ، الى فراشه دون أن ينبس ببنت شفة ، ثم تبعته زوجته بعد دقيقة أو اثنتين

وصمت الاثنان ، ولكنهما كانا ينصتان الى دقائق ساعة الحائط وفي أثناء ذلك ، صات أحد الجرذان ، فسمع صوته واضحاً جليلاً . وإذا كان الظلام دامساً حالكاً ، نهض الرجل المحطم من فراشه جامعاً أهداب شجاعته ، وأخذ علبة الثقاب ، ثم أشعل منها عوداً وهبط الدرجات كي يحضر شمعة

وعند الدرجات الأخيرة ، انطلق العود ، ثم انتظر كي يشعل آخر . وفي الوقت ذاته سمعت دقة هادئة على الباب الخارجي يكاد يخطئها السامع . فسقط العود من يده ، ووقف لحظة واجماً دون حراك حتى تكرر القرع على الباب . ثم التفت حوله مذعوراً وهرب مسرعاً الى حجرته مغلقاً بابها خلفه

وردد المنزل إذ ذاك صدى القرعة الثالثة

فصرخت السيدة مذهولة : « ما هذا ؟ »

فأجاب الكهل بنبرات مرتعشة : « فأر ... فأر ... لقد صادفته على الدرجات »



جلس الزوج في فراشها تنصت ، ثم تردد في أرجاء المنزل صوت طرقة أخرى على الباب

فصاحت : « انه هربرت . . . . انه هربرت ! »

ثم قفزت الى الباب ، ولكن زوجها سبقها وأمسك بذراعها ضاغطاً عليها بشدة .  
وهمس في أذنها : « ماذا تنوين ؟ »

فصرخت وحاولت التملص : « انه ابني . . . هربرت . . . لقد نسيت انه يبعد عنا  
ميلين . . . لماذا تمنعني ؟ . . . دعني . . . يجب أن أفتح الباب »

وصرخ الكهل مستعظفاً مرتعشاً : « أناشدك بالسموات لا تدعيه يدخل »

فردت عليه : « انك تخشى ابنك ! . . . دعني . . . سأتي حالاً يا هربرت . . . ها أنذا  
يا هربرت . . . »

\*\*\*

وسمعت دقة ، ثم أخرى . وإذا ذاك أفلنت الزوجة من زوجها ، وتبعها هذا الى  
أول الدرجات مستعظفاً وهي ماضية عنه كالسهم ، تنهب الدرجات نهباً وتطويها طيماً . وسمع  
مستر هو ايت صوت مزلاج الباب السفلي وهو يدفع ، ثم نادته زوجته : « الرتاج العلوي . .  
اسرع إلي . . . انه شديد الارتفاع »

ولكن زوجها كان جاثياً على الأرض يرسل بيديه عليها بحثاً عن الطلمسم . آه لو كان  
يجده قبل أن تستطيع زوجه فتح الباب . وردد الباب صوت طرقة واضحة . ثم سمع الزوج  
صوت امرأته وهي تستعين بأحد المقاعد في فتح الرتاج العلوي . ثم سمع صوت المزلاج وهي  
تديره من مكانه . وفي تلك اللحظة عينها عثر على « كف القرد » ، وبحركة جنونية ردد طلبته  
الثالثة والأخيرة

ونجاة خدمت الطرقات رغم أن صداها كان لا يزال يتجاوب في أرجاء المنزل . ثم سمع  
الزوج صوت المقعد تسحبه زوجته الى الخلف ، وفتح الباب . فصعدت اليه نسمة باردة  
حملت اليه نحيب زوجته ، نحيب الأسى والامتياء ، فشجعه ذلك على ان يمرع الى جوارها  
وأن يتقدما الى الباب الخارجي

وفي الجهة المقابلة ، كان ضوء المصباح يتراقص فيضيء طريقاً هادئاً مقفراً .



# الدين والفلسفة

الخصومة بينهما في المغرب

لمحمد يوسف موسى

« بعد أن تكلمنا في الكلمة الثانية على مظاهر الخصومة بين الدين والفلسفة في المشرق الاسلامي ، نتكلم اليوم على مظاهر هذه الخصومة في المغرب »

نستطيع القول بأن المملكة الاسلامية في المغرب والاندلس ، وقد تعاقبت عليها دول مختلفة ، كانت مصداقاً لبعض قوانين ابن خلدون الاجتماعية . ذلك بأن هذا الفيلسوف الاجتماعي استقرأ الاطوار التي تمر بها الأمة من الأمم ، من لدن قيامها الى انقراضها ، وجعل الطور الثاني هو « طور الاستعداد » أي استعداد الأمير بقومه والانفراد دونهم بالملك ، وكبحهم عن التناول للمساهمة والمشاركة ، ويكون صاحب الدولة في هذا الطور معنياً باصطناع الرجال واتخاذ الموالي والانصار <sup>(١)</sup> كما يقرر في موضع آخر « ان العلوم انما تكثر حيث يكثر العمران وتعمم الحضارة ، وأن السبب في ذلك انه متى فصلت أعمال أهل العمران عن معاشهم انصرفت عنه الى ما وراء المعاش من التصرف في حاجة الانسان وهي العلوم والصنائع » <sup>(٢)</sup>

من أجل ذلك ليس عجباً أن نرى الدولة الأموية التي أسسها صقر قریش بالاندلس ، تعتمد قبل كل شيء الى توطيد سلطانها فيما اقتطعته من بلاد الدولة العباسية ، ويشغلها هذا التوسيع في بسط النفوذ والسلطان عن العلوم والفلسفة ، حاشا ما كان خاصاً بكتاب الله وسنة رسوله والفقه واللغة ، وما الى ذلك من العلوم الاسلامية الاصلية التي لا غنى عنها . ولهذا نجد صاعداً الاندلسي المتوفى سنة ٤٦٢ هـ يذكر « أن هذه البلاد ظلت بعد الفتح لا يعنى أهلها بشيء من العلوم إلا علوم الشريعة وعلم اللغة ، الى أن توطد الملك لبني أمية بعد عهد أهلها بالفقنة ، فتحرك ذوو الهمم لطلب العلوم » <sup>(٣)</sup> . ونعتقد انه من الواضح ان المراد بالعلوم التي تحرك هؤلاء لطلبها العلوم ، التي من جنس العلوم القديمة الفلسفية التي لم يكن للعرب إلف بها



ثم كان أن أخذت العلوم الفلسفية تنشط من عقاها وتأخذ مكانتها الحقيقية بها في عهد الحكم الثاني المستنصر بالله (٣٥٠ - ٣٦٦ هـ) ، الذي كان له نخر افتتاح هذه الدراسات العالية وتمهيد سبلها للراغبين ، بما كان يجمع من الكتب والمؤلفات . وكان يدفع هذه الحركة العلمية للأمام ، التسامح الذي لا تكاد العصور الحديثة تعرف له نظيراً كما يقول « رينان — Renan » الفيلسوف الفرنسي المعروف « إذ كان هناك مسيحيون ويهود ومسلمون يتكلمون لغة واحدة ويتناشدون شعراً واحداً ، ويتعاونون على الدراسات العلمية والأدبية . لقد أمّحت كل الحواجز التي كانت تفصل الناس ، وصار الجميع يتعاونون في إقامة صرح التمدن المشترك ، كما غدت مساجد قرطبة بتلاميذها الذين يعدون بالآلاف مراكز الدراسات العلمية والفلسفية » (١)

لكن العامل السياسي ظهر — مضافاً الى عوامل أخرى — ففضى على هذه النهضة في مستهل أمرها . إذ توفي الحكم وتولى ابنه هشام المؤيد ، وكان غلاماً حدثاً ، فاستبد به وبالمملك الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر ، وعمل هذا الحاجب على استمالة العامة والفقهاء فعمد الى خزائن الحكم العلمية فأفرز بمحضر من أهل العلم والدين ما فيها من كتب علوم الأوائل القديمة ما عدا الطب والحساب وأمر بإعدامها : فأحرق بعضها ، وطرح بعضها في آبار القصر وهيل عليها التراب والحجارة ، وغيرت بضروب من التعابير . فعل ذلك تحبياً الى عوام الاندلس ، وتقبيحاً لمذهب الخليفة الحكم عندهم « إذ كانت تلك العلوم مهجورة عند أسلافهم ، مذمومة باللسنة رؤسائهم ، وكان كل من قرأها متهماً عندهم بالخروج عن الملة ومظنوناً به الإلحاد في الشريعة » (٢)

ومما يؤكد ما نراه من أن الحاجب المنصور اجترح ما اجترح مدفوعاً بعامل سياسي ، ما يذكره المقرئ نقلاً عن ابن سعيد ، إذ يقول بياناً لحالة فنون العلم لدى أهل الاندلس ، « ان كل العلوم لها عندهم حظ واعتناء إلا الفلسفة والتنجيم ، فان لها حظاً عند خواصهم ولا يتظاهر بهما خوف العامة . فانه كلما قيل فلان يقرأ الفلسفة أو يشتغل بالتنجيم أطلقت عليه العامة اسم زنديق وقيدت عليه أنفاسه فان زل في شبهة راجوه أو حرّقه قبل أن يصل أمره للسلطان ، أو يقتله السلطان تقرّباً للعامة . وكثيراً ما كان يأمر ملوكهم بإحراق كتب هذا الشأن إذا وجدت ، وبذلك تقرّب المنصور بن أبي عامر لقلوبهم أول نهوضه » (٣)

(١) ابن رشد ومذهبه ، بالفرنسية ، ص ٤

(٢) طبقات الامم ص ٧٦ (٣) نفح الطيب ، نشر دوزي ، ج ١ ص ١٣٦



ولم يكتف المنصور بما فعل ، بل أصدر مرسوماً حرم به الاشتغال بالفلسفة فصار الذين يعنون بها يستخفون بدراساتهم ، كما صار الذين استمروا يحملون شعلة التفلسف عرضة للحن والارزاء. مصداق هذا حياة متفلسفي ذلك العصر ومنهم ابن باجه المتوفى سنة ٥٣٣ هـ ومعاصره مالك بن وهب الأشبيلي

بل تعدت الحنة الفلسفة الى علم الكلام في عصر أسرة المرابطين ، فصار قبيحاً وبدعة في الدين بما وسوس به بعض الفقهاء الى علي بن يوسف بن تاشفين المتوفى سنة ٥٣٧ هـ فشدد في نبذه متوعداً من عُثر عنده على شيء من كُتبه حتى انه لما دخلت مؤلفات حجة الاسلام الغزالي أمر باحراقها وتوعد بسفك الدم من وجد لديه شيء منها (١)

\*\*\*

وإذا تركنا أسرة المرابطين الى دولة الموحدين التي خلفتها ، نجد فيها من عُرف بتشجيع الفلاسفة ومن عمل على اضطهادهم ، حتى ان ابن رشد انكر اشتغاله بالفلسفة لما سأله أمير المؤمنين أبو يعقوب عن رأي الفلاسفة في قدم السماء ، على نصرتِه للفلاسفة (٢) وبالرغم مما رأيناه من كراهة الفلسفة واضطهاد الفلاسفة والمتفلسفين بالمغرب والاندلس لايسع الباحث الا ان يقرر أن هذه الاضطهادات زادت الفلسفة والفكر الحر أنصاراً مستخفين تارة ومجاهرين أخرى وكان ذلك لعوامل مختلفة

ونعتقد أنه صار من السهل الآن معرفة البواعث التي دفعت رجال الدين ، أو نفرأ منهم على الأقل ، الى معاداة الفلسفة وعلم الكلام الآن في ذلك العصر . هذه البواعث قد يدخل فيها الجهل والتعصب والسياسة والحسد أحياناً ، ولكن من الحق أن نقرر أنه في كثير من الحالات كان الباعث على ما امتحن به الفلاسفة ومن اليهم عدم صلاحهم للنظر فيها أو انحرافهم في شيء من آرائهم عن بعض ما جاء به الدين ، إما حقاً وإما جهلاً وإلا فكيف تقصر أن المنصور أبا يوسف يعقوب ( ولي سنة ٥٨٠ هـ ) لم ير بأساً في اشتغال الحفيد أبي بكر بن زهر بالفلسفة ، وقد حرم الاشتغال بها ، لما يعلمه — كما قال — من متانة دينه وخلقه ؟ (٣) وكيف أن ابن زهر هذا أبى بشدة على اثنين من تلاميذه أن يشتغلا بشيء منها قبل أن يتقنا علوم الدين ويتعودا القيام بالشعائر الدينية ؟ (٤)

ومهما يكن من أمر البواعث العامة والخاصة التي دفعت الى اضطهاد الفلسفة والفلاسفة ، فإنه بنكبة ابن رشد سنة ٥٩٥ هـ فقدت الفلسفة الاسلامية آخر نصير وممثل لها من المسلمين

(١) المعجب للمراكني ، نشر دوزي ، ص ١٢٣ (٢) نفسه ص ١٧٤ — ١٧٥ (٣) طبقات الأطباء ج ٢ ص ٦٩ (٤) نفسه ص ٦٩ — ٧٠



في الشرق والغرب ، وتضافرت عوامل مختلفة على اماتة روح الابتكار وسيادة روح التفكير

\*\*\*

وأخيراً ، هل يبيح الدين ما كان من اضطهاد كثير من رجاله للفلسفة والفكر الحر ؟ وهل كان من الخير أن تسوء العلاقة بين رجال الدين والفلسفة ، كما رأينا ؟

١ — مهما تكن البواعث التي صدر عنها بعض رجال الدين في عداوتهم للفلسفة ، ومهما تكن مكانتهم وشهرتهم في التاريخ ، فانه مما لا ريب فيه في رأينا أن الدين الاسلامي لا يبيع كل ما امتحن به هؤلاء الفلاسفة ومن اليهم من اضطهاد وتنكيل . الدين الذي يأمر كتابه ألاّ نجادل أهل الكتاب إلاّ بالتي هي أحسن ، كما أمر موسى وهرون أن يلبينا القول لفرعون لعله يتذكر أو يخشى ، الدين الذي حث على النظر في العالم ، ظاهره وباطنه ، لنعرفه فنشكر من مسخره لنا ؟ الدين الذي يقرر كتابه انه لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ؟ الدين الذي هذا شأنه ، لا يرضى ما صنعه رجاله بالفلسفة

نفهم أن تحترب الافكار وأن تقرع الحجّة الحجّة ولكن لا نفهم أن تستنضى السيوف وتسيل الدماء لتأييد رأي قد يكون خاطئاً ، ربما كان من الفلاسفة من ركب رأسه ، وذهب الى ما لا يتفق وأصول الدين ، هؤلاء جزاؤهم أن يؤدّبوا بأدب الشرع ، ولكن منهم من حسنت نيته فاجتهد وأصاب أو أخطأ ، فكيف يجوز مسلم لنفسه أن يرميه بالاحاد وأن يحرض على تعذيبه وعلى قتله أحياناً

٢ — يتبين من هذا الذي قدمنا انه لم يكن من الخير لأحد من الطائفتين أن تسوء العلاقة بين رجال الدين ورجال الفلسفة كما رأينا . لقد حفر هذا الخلاف — بل العدا — بين الفريقين هوّة ظلت فاصلاً بينهما دهرًا طويلاً ، وأساء كل من المعسكرين بالآخر الظنون ، فرمى رجال الدين الفلاسفة بالاحاد ، وجازاهم هؤلاء شرّاً فرموهم بالجمود وعدم الفهم للدين ! وكان من هذا وذاك أن حُرم الدين الانتفاع بجهود كثير من أبنائه المفكرين ، وان تحامى العامة الفلاسفة ، فانكش الفكر الحر وأخلى الطريق للجهل والتقليد

ومن المؤلم أشدّ الألم انه لا يزال لذلك الموقف آثاره في هذا العصر الذي نعيش فيه إذ يمثل أحد المعسكرين بعض رجال الأزهر ويمثل المعسكر الآخر بعض رجال الجامعة . وإذا نار الخلاف واشتد في حالات كثيرة — كلنا يذكرها — على حساب العلم والتفكير ! بل لعلنا لا نخطئ إذا قلنا انه من السهل أن نجد ممثلين لهذين المعسكرين في الأزهر نفسه علم الله انه لولا داء الحسد لسلم تاريخ الاسلام مما ذخر به تاريخ الأديان من اضطهاد التفكير الحر ورجاله . ذلك بأنه — كما يقول الشيخ محمد عبده — « إذا عدّ عادّ بعض



رجال العلم الذين أخذتهم القسوة في الاسلام ، وقتلتهم حماقات الملوك باغراء الفقهاء وأهل الغلو في الدين ، فما عليه إلا أن ينظر في أحوالهم فيقف لأول وهلة على أن الذي أثار أولئك عليهم ليس مجرد العصبية للدين ، وأن ليست الغيرة عليه هي الباعث لهم على الوشاية بهم وطلب تنكيلهم ، وإنما نجد الحسد هو العامل الاول في ذلك كله والدين آلة له ، ولهذا لا نجد مثل ذلك الاذى يقع إلا على قاضي قضاة كابن رشد أو وزير أو جليس خليفة أو سلطان أو ذي نفوذ عظيم بين العامة . وهذا كما يقع من الفقهاء مثلاً لا يذاء الفلاسفة ، يقع من الفقهاء بعضهم مع بعض لاهلاك بعضهم بعضاً ، كما يشهد به العيان ويحكي لنا التاريخ <sup>(١)</sup> هذا ، وقد تم ما أردنا من عرض العلاقة بين رجال الدين والفلسفة ، ومنه وضح أن الفلسفة والفلاسفة كانوا أحسن حظاً في المشرق منهم في المغرب ، فما تعليل هذا ؟

\*\*\*

لا نعرف أحداً من مفكري الشرق وفلاسفته عني بتخصيص كتاب أو رسالة للتوفيق بين الدين والفلسفة ، وإن كانوا عالجوا هذه المسألة في أثناء كتاباتهم ، على حين صنع ذلك فلاسفة المغرب ، كما يتبين من « حي بن يقظان » لابن طفيل ، ومن مؤلفات ابن رشد التي خصصها كلها أو بعضها لهذه الغاية على ما سيجيء

ومعنى هذا أنهم في الشرق لم يحسوا بالحاجة الملحة لتأمين حياتهم كما أحسها إخوانهم في المغرب ، فعملوا على اظهار أن ما يعنون به هو فلسفة تتفق والدين الذي يعتقدونه حقاً ، أي أن المفكرين في الشرق نقصهم الى حد كبير عامل هام من العوامل التي تدفع المتفلسف للتوفيق بين الدين والفلسفة أول كل شيء

ذلك بأن أوائل المفكرين — كالكندي مثلاً — كانوا يعيشون في عهد المأمون ومن تلاه من الخلفاء العباسيين الذين عرفوا ، كما قدمنا ، بحرية الفكر وتشجيع المفكرين وحمايتهم . ولما جاء المتوكل سنة ٢٣٢ هـ ، واضطهد المتكلمين والفلاسفة وحجر على أصحاب المقالات ، صادف هذا الانقلاب في السيادة العلمية ضعف سلطان العباسيين وظهور دويلات في قلب الدولة الاسلامية ، وتبع ذلك تفرق العلم وطلابه في مراكز كثيرة تابعة لأمراء يحبون العلم ويشجعون عليه <sup>(٢)</sup>

(١) الاسلام والنصرانية ص ١٠١ — ١٠٢

(٢) هذا واضح ومعروف فانه يمكن الرجوع الى « تاريخ آداب اللغة العربية » لجورجي زيدان ص ٢٢٠ — ٢٢١ ، و « مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامي » لسيد أمير علي ص ٢٤٧ — ٢٤٩ الترجمة العربية



ومن هذه الدويلات الدولة الحمدانية بحلب والسامانية ببخارى . كما وقعت السلطة المركزية ببغداد نفسها فترة طويلة في أيدي أسر بني بويه ، المعروفين كذلك بتشجيع العلماء وفي كنفهم نبع مسكويه

وكانت مجزأة الدولة الإسلامية على هذا النحو من صالح الفلاسفة والمفكرين الذين كانوا يجدون حماة في امراء تلك الدويلات ، ومن الممثل لهذا الفارابي وسيف الدولة الحمداني كما كان الواحد منهم إذا خشي على نفسه من أمير من الامراء انتقل الى غيره ، ومن مثل هذا ابن سينا<sup>(١)</sup> ويضاف الى ذلك كله أن الدولة العباسية كانت امشاجاً من عناصر مختلفة في الدين والجنس والثقافة مما يجعل الفلاسفة أجراً إذ يجدون وسطاً موافقاً لبعض الموافقة<sup>(٢)</sup>

كل تلك العوامل تجعل الفيلسوف الشرقي لا يحس الحاجة الماسة الى التوفيق اول الامر بين الدين والفلسفة ، ولا لأن يخص لهذا مؤلفاً من مؤلفاته . وعلى عكس هذا كان الحال في الغرب الاسلامي تحت حكم المرابطين اولاً والموحدين ثانياً ، في وسط مليء بالجهد وتعصب العامة وكثير من رجال الدين ، ضد كل أحرار الفكر وان كانوا من المتكلمين على مذهب الاشعري ! بل ضد كل عالم له رأي خاص وان كان الغزالي خصم الفلاسفة اللدود ! في وسط يبلغ التعصب فيه ضد الفكر والفلسفة درجة تجعل بعض الامراء يوقعون — ابتغاء مرضاة العامة ورجال الدين — بمن كانوا يجمعونهم ويشاركونهم سرّاً في دراسة الفلسفة أحياناً ، كما وقع لابن باجه وابن رشد ! لا عجب اذاً إن رأينا الفلاسفة في المغرب أمواً حظاً من اخوانهم في المشرق ، فيخصصون بعض جهودهم للتوفيق بين الدين والفلسفة ، ليأمنوا على أنفسهم ويحببوا الفلسفة للناس بالتدليل على انها والدين من منيع واحد

\*\*\*

والآن ، وقد انتهينا من ماهية الدين والفلسفة ونشأتها وبيان العلاقة بينهما في خلال العصور ، نكون وصلنا الى المرحلة الاخيرة ، وهي بيان ما كان من شعور بعض المفكرين الفلاسفة بالحاجة الماسة للتوفيق بين هاتين القوتين ، وعرض محاولاتهم هذا التوفيق في إيجاز ، ومبلغ نجاحهم فيما قصدوا اليه .

(١) طبقات الاطباء ج ٢ ص ٥ — ٦ ، والمستشرق « مارك — Munk — » في كتابه أمشاج من الفلسفات اليهودية والعربية ص ٣٥٤ ، وكارا دي فو — Carra de Vaux — في كتابه « ابن سينا » ص ١٣٩ — ١٤٠

(٢) كتاب « نظرية ابن رشد » المستشرق جوتيي Gauthier ص ١٦٣



# عمر الخيام

كما أعرفه

لمحمود المنجوري

الوثائق التاريخية التي وردت فيها أخبار عمر الخيام

وهي وثائق كُتبت على وجه التحقيق قبيل السنوات الآتية : ٥٠٦ هـ و ٥٣٦ هـ و ٥٩٥ هـ و ٦١١ هـ و ٦٢٠ هـ و ٦٢٨ هـ و ٦٤٦ هـ و ٦٧٤ هـ و ٧١٨ هـ و ٨٠٨ هـ وما بعدها وسنرى ان الخيام توفي سنة ٥٢٦ هـ

ونستطيع عند ما نستعرض وقائعها والتواريخ التي دُوِّنت فيها ، ان نقسّمها الى ثلاثة أقسام ، وأن نخرج منها ما يأتي :

(١) — وثائق عاصر كاتبوها الخيام نفسه ، وكانوا على وجوده شهود اثبات رأوه رأي العين

(٢) — وثائق جاءت في كتب دُوِّنت في القرن السادس والسابع والناامن للهجرة

(٣) — تعليقات جاءت في كتب دُوِّنت في القرن التاسع للهجرة وما بعده

القسم الاول : وثائق تتناول وقائع ذكرتها شهود اثبات رأوا الخيام رأي العين

(١) — المقالة الثالثة من ( جهار مقالة — أربع مقالات ) لاجمّد بن عمر علي النظامي

العروضي السمرقندي ، خصص النظامي هذه المقالة لأخبار الفلكيين وجاء بها ما ترجمته :

« حظيت في سنة ٥٠٦ هـ في مدينة بلخ وفي قصر « أمير بوسعدجر » بخدمة الامتاذ عمر الخيام والامام المظفر الاسفزازي ، وفي اثناء الحديث سمعت حجة الحق أي عمر الخيام يقول : انني اذا مت فان قبري سيكون في مكان تهب عليه نسائم الشمال وينثر عليه الزهر والورد مرتين في العام الواحد

وقد تملكني العجب من قوله لاني كنت أعلم ان خياماً لا يتكلم الا عن روية . وفي سنة ٥٣٠ هـ دخلت نيسابور ، فبلغني ان التراب قد أخفي ذلك العظيم منذ اربع سنوات ، وترك العالم السفلي يتيماً . ولما كان له حق التعليم ذهبت لزيارة قبره يوم الجمعة ومعني رجل



ليدلي على قبره ، فأخذني الرجل الى مزار ( حيرة ) ولما وصلنا التفت الى اليسار فألفيت قبر الخيام بجانب جدار حديقة مهجورة وقد أحاطت بقبره أشجار المشمش النورة وكان الزهر يتساقط على قبره حتى أخفى قبره وقد ذكرت ما قاله لي في بلخ . فبيكيت ولم أجد في هذا العالم نظيره ، أسكنه الله تبارك وتعالى جنانه بمنه وكرمه <sup>(١)</sup>

هذه وثيقة من أقدم الوثائق التاريخية كتبها تلميذ لعمر الخيام وقد تناول فيها اثبات ما يأتي :

انه قام على خدمة استاذ الخيام سنة ٥٠٦ هـ بمدينة بلخ وسمع دروسه مع دروس زميله الامام المظفر الاسفوارى — وهو فيلسوف عاصر الخيام وناظره — وانه عاد الى نيسابور سنة ٥٣٠ هـ فعلم ان الخيام قد مات منذ اربع سنوات ، وانه زار قبره برأ ووفاء باستاذ

وبتحقيق هذه الوثيقة تقع وفاة الخيام سنة ٥٢٦ هجرية

ونص هذه الوثيقة اكثر امانة ودقة لتدوين الوقائع مما ذكرته مقدمة رباعيات فزجرلد بل انها تختلف عنها في بعض التفاصيل ، وجدير بالمستشرقين ان يستوثقوا من النصوص عند اعادة طبع رباعيات فزجرلد وان يرجعوا الى هذه الوثيقة لتصحيح ما ورد في المقدمة

ولقد اهتم بعض المستشرقين بأنواع الزهور التي يمكن ان تنبت في مرتين في العام الواحد تأكيذاً لرواية الخيام عن نفسه فكتب في هذا العلامة برون كما كتب العلامة وليم سمبسن (W. Simpson) الذي زار نيسابور في اكتوبر ١٨٨٤ وحجاً الى قبر الخيام وراه رأي العين وشاهد الزهور منتثرة من شجر يورق مرتين في العام ، وذكر المستشرق د. Ross ان وليم سمبسن ارسل فصيلة من هذا الشجر الى إنجلترا وان العمريين غرسوها في حدائق كيو Kew—Gardins وان الغرس أفلح ونور

(ب) — كتاب حكماء الاسلام للامام ظهير الدين ابى الحسن ابى القاسم البيهقي <sup>(٢)</sup> فقد ذكر الخيام مرتين

(١) جهاز مقالة، ترجمة E. G. Browne ط كبرج ١٩٢٢ والترجمة العربية للاستاذ الصراف س ٧ دار السلام بغداد ١٩٣١  
(٢) ذكر ياقوت ان البيهقي ولد سنة ٤٥٠ هـ بخراسان وتوفي سنة ٥٣٦ هـ فهو اذن معاصر للخيام وهو منسوب الى بيهق بلدة قريبة من نيسابور وقد نقل عنه المستشرق الروسي زوكوفسكي ولكنه لم يذكر اسم هذا الكتاب



(١) فقال : دخلت على الامام — أي عمر الخيام — في خدمة والدي فسأني معنى هذا البيت في الحماسة :

ولا يرعون اكفاف الهويني إذا حلوا ولا أرض الهدون  
فقلت له : الهويني اسم تصغير كالثريا والحميا ومعناه انهم من عزم وجراتهم لا يرعون  
النواحي التي أباحتها المسألة ووطأتها المهادنة ولكن النواحي المتحامة  
ثم سأني عن أنواع الخطوط القوسية . فقلت : أنواع الخطوط القوسية اربعة منها  
محيط دائرة ومنها قوس اعظم من نصف دائرة . فقال لوالدي « شمشنة أعرفها من أخزم »  
ولقد جاء في ترجمة المستشرق الروسي Schukovski زوكوفسكي لهذا النص (١)  
ان البيهقي دخل على عمر الخيام في سنة ٥٠٥ هـ وعلى هذا يكون البيهقي قد شاهد بنفسه  
عمر الخيام في هذه السنة

(٢) وحكي لي الامام محمد البغدادي انه كان يتدخل بخلال من ذهب ويتأمل في كتاب  
الشفاء ، ولما وصل الى فصل « الواحد والكثير » قال لي : اطلب الاصحاب لأنني أريد أن  
أوصي . ولما اجتمعوا أخذ يصلي لله معرضاً عن صحبه ، ولما سجد كان يقول في سجوده  
« اللهم اني عرفتك قدر ادراكك ، فاغفر لي فان معرفتي اياك وسيلتي اليك » ثم قضى نحب  
هذا وصف يقرره شاهد أثبت كيف قضى الخيام ساعاته الاخيرة من هذه الحياة ،  
ولست أدري كيف يرتاب بعض الباحثين في احتمال حدوث هذه الوقائع ، فليس غريباً أن  
يدرك الانسان قرب أجله ولا سيما اذا بلغ السن التي بلغها الخيام . وليس غريباً أن يوصي  
الخيام قبل وفاته وما زال نسمع كل يوم ما يشبه هذا الحادث  
على ان مؤرخاً آخر قد وصف الساعات الاخيرة للخيام ، ولكن في وضع أكثر سعة  
واحتمالاً ، فذكره الشهرزوري شمس الدين محمد بن محمود في كتابه « نزهة الارواح » الذي  
ألفه بين سنة ٥٨٦ و ٦١١ هـ بقوله :

وحكي انه كان — أي عمر — يتدخل بخلال من ذهب وكان يتأمل الالهيات من الشفاء ،  
فلما وصل الى فصل الواحد والكثير وضع الخلال بين الورقتين ، وقام وصلى ، وأوصى ،

(١) نسب زوكوفسكي هذا النص الى كتاب فردوس التواريخ لمولانا خسرو الارقوهي المكتوب  
قبل سنة ٨٠٨ هـ وقد أخذ عنه المستشرق رس في مقالات نشرها في مجلة الجمعية الملكية الاسيوية ، ابريل  
١٨٩٨ ص ٣٤٩ والواقع ان الذي جاء بهذا النص هو البيهقي في كتاب حكماء الاسلام وقد نقله الاستاذ  
حامد الصراف عن نسخة مصورة موجودة بالجمع العربي بدمشق ظفر بها العلامة محمد كرد علي في أوروبا  
ونقلها مصورة هدية الى مجمع دمشق ص ٧ : الصراف ط. دار السلام بغداد



ولم يأكل ولم يشرب . ولما صلى العشاء سجد وكان يقول في سجوده « اللهم تعلم اني عرفتك على مبلغ امكاني فاغفر لي ، وان معرفتي اياك وسيلتي اليك » . ومات رحمه الله تعالى ولقد جاءت هذه الشهادة من مؤرخ نقد الخيام ووصفه « بسوء الخلق وضيق العطن » كما ستري في الوثيقة التالية :

❖ القسم الثاني ❖ — وثائق جاءت في كتب دوّنت في القرنين السادس والسابع والثامن للهجرة

(١) نزهة الأرواح وروضة الافراح لمحمد الشهرآزوري سنة ٥٨٦ هـ مقدمة الاستاذ ساخاو في الآثار الباقية لأبي الريحان البيروني ص ٥٦

عمر الخيام نيشابوري الآثار والميلاد كان تلواي على ابن سينا في اجزاء علوم الحكمة إلا انه كان سييء الخلق ضيق العطن ، تأمل كتاباً باصبعان سبع مرات وحفظه وعاد الى نيسابور فأملاه فقبول بنسخته الأصلية فلم يوجد بينهما تفاوت ، وله ضنة بالتصنيف والتعليم ، وله مختصر في الطبيعيات ورسالة في الوجود ورسالة في الكون والتكليف . وكان عالماً بالفقه واللغة والتواريخ

ودخل الامام عمر يوماً على شهاب الاسلام الوزير عبد الرزاق وكان عنده امام القراء ابو الحسن الغزالي وكان يتكلم في اختلاف القراء في آية فقال الوزير : على الخبير سقطنا ، فسئل الامام عمر عن ذلك ، فذكر وجوه اختلاف القراء وعلل كلام كل واحد منهما ثم ذكر الشواذ وعللها وفضل وجهاً واحداً فقال الغزالي « كثر الله في العلماء مثلك اجعلني من بعض أهلك وارض عني فاني ما ظننت أحداً من القراء في الدنيا يحفظ ذلك ويعرفه فضلاً عن واحد من الحكماء »

وأما أجزاء الحكمة من الرياضيات والمعقولات فكان ابن يحدتها ودخل حجة الاسلام الغزالي عليه وسأله عن تعيين جزء من أجزاء الفلك القطبية دون غيرها مع كونه متشابه الأجزاء ، فطوّل الخيامي الكلام ، وابتدأ من الحركة من مقولة كهذا وضن بالخوض في كل النزاع ، وكان من دأب ذلك الشيخ المطاع ، حتى أذن الظهر فقال الغزالي جاء الحق وزهق الباطل . وكان السلطان ملكشاه ينزله منزلة الندماء ، والخاصان شمس الملوك ببخارى يعظمه غاية التعظيم ويجلسه معه على سريره

ثبتت هذه الوثيقة مقابلة الخيام لوزير من وزراء عهده وهو شهاب الاسلام والي طوس كما تقرر مقابلته للامام الغزالي ، وشهادته للخيام واقراؤه له بالفضل كما ثبت ان الخيام كان مقرباً من الملوك حتى ان الخاصان شمس الملوك كان يجامسه على سريره بتقدير آلامه واعزازاً



لمركزه ، وكان ملكشاه ينزله منزلة الندماء . فالخيام بهذه الوثيقة عالم يقرن بالغزالي ونديم  
تتوق الملوك الى مجلسه ورجل موفق الحظ يرفعه الملوك ويقرّبونه اليهم  
ولم تكن هذه الشهادة آتية من رجل شايع الخيام بل جاءت من مؤرخ حمل عليه  
ونقد مذهبه فأثبت ان الخيام « كان سيء الخلق ضيق العطن » فهذه وثيقة تقرر ما للخيام وما  
عليه في نظر مؤرخها ، وهي الى ما ذكر تثبت ما وصل الى علم صاحبها من أسماء مؤلفات  
الخيام وتشهد بذلك عمر النادر

( ب ) مرصاد العباد لنجم الدين أبي بكر الرازي ألفه سنة ٦٢٠ هـ - ١١٢٣ م  
بالفارسية في التصوف وأدب النفس ، وهو لا يشتمل على سيرة الخيام إلا ان مؤلفه نقد  
الخيام نقداً له قيمته من ناحية الحكم على مذهب الرجل وعلى خلط الناس بين مذهبه  
ومذهب المتصوفة ، فوضع الخيام في مصاف الفلاسفة الماديين الذين ينكرون البعث والنشور  
فقال ما ترجمته (١)

« وما الحكمة في جعل هذه الروح العلوية النورانية في قالب سفلي أعظم متخذ من  
التراب ؟ ثم ما السبب في التفريق بين الروح والجسد وقطع العلاقة بينهما ؟ لم تتلاشى هذه  
الصورة وهذا الشكل ، وما السبب في نشر جسد الانسان في المحشر مرة اخرى ؟  
أجل ، ان الذي خرج من زمرة ( كالانعام بل هم أضل سبيلاً ) ووصل الى المرتبة الانسانية  
وخلص من قوله ( ويعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ) وسلك  
بدوق وشوق عظيمين الطريق الحسن ، علم ان ثمر النظر والقدم هو الايمان والعرفان  
ان الفيلسوف الدهري الطبيعي محروم هذين المقامين حتى ان أحد الفضلاء وهو المشهور  
بحكمته وكيامته ( عمر الخيام ) قد تاه في ببداء الضلال بقوله :

در دایره کامدن ورفتن ماست

آثر انه بدايت نه نهايت بيداست

كس مي نزند دمی در من عالم راست

كاین آمدن از كجا ورفتن بكجاست

يعني : ان الدائرة التي فيها تجيء وتذهب ليست بذات بداية ونهاية ، لا أحد يستطيع  
أن يقول من أين هذا المجيء وإلى أين هذا الذهاب



(ج) كتاب كامل التواريخ لابن الاثير سنة ٦٢٨ هـ جاء فيه عن الخيام في حوادث سنة ٤٢٧ هـ ما يأتي :

« وفيها جمع نظام الملك والسلطان ملكشاه جماعة من أعيان المنجمين ، وجعلوا النيروز اول نقطة من الحمل ، وكان النيروز قبل ذلك عند حلول الشمس نصف الحوت ، وصار ما فعله السلطان مبدأ التقاويم . وفيها أيضاً عمل الرصد للسلطان ملكشاه واجتمع جماعة من أعيان المنجمين في عمله ، منهم عمر بن ابراهيم الخيامي وأبو المظفر الاسفزاری وميمون ابن النجيب الواسطي وغيرهم . وخرج عليه من الأموال شيء عظيم ، وبقي الرصد دائراً الى ان مات السلطان سنة ٤٨٥ هـ فبطل بعد موته »

فهذه الوثيقة تقرر اجتماع الخيام بعلماء عصره بدعوة ملكشاه لتصحيح التقويم وعمل الأرصاد الفلكية وهي تثبت ان هذا الاجتماع بدأ سنة ٤٢٧ هـ ولكنها لم تذكر اسماء جميع أعضاء هذا المجمع الفلكي

(د) كتاب تاريخ الحكماء للمؤرخ الوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن القاضي الأشرف يوسف القفطي المتوفى سنة ٦٤٦ هـ سنة ١٢٤٨ م . وفيه ذكر الخيام قال : (١)

« امام خراسان ، وعلامة الزمان ، معلم علم بوتان ، ويبحث على طلب الواحد الديان ، بتطهير الحركات البدنية ، لتنزيه النفس الانسانية ويأمر بالتزام السياسة المدنية ، حسب القواعد اليونانية . وقد وقف متأخرو الصوفية على شيء من ظواهر شعره فنقلوها الى طريقتهم وتحاضروا بها في مجالسهم وخلواتهم ، وبواطنها جبات للشرعية لتوسع ، وبجامع للاغلال جوامع . ولما قدح أهل زمانه في دينه وأظهروا ما أسره من مكنونه ، خشي على دمه وأمسك من عنان لسانه وقلمه ، وحجج متافاة لا تقيه ، وأبدى أسراراً من المرار غير نقية . ولما حصل ببغداد مسمى اليه أهل طريقته في العلم القديم فسد دونهم الباب سدّ النادم لاسد النديم ، ورجع من حجه الى بلده يروح الى محل العبادة ويغدو ، ويكتم أسرارته ولا بدّ ان تبدو ، وكان عديم القرنين في علم النجوم والحكمة وبه يضرب المثل في هذه الأنواع لو رزق العصمة . وله شعر طائر تظهر خفياته على خوافية » . وقد أتى القفطي بقصيدة نظمها الخيام بالعربية منها

إذا كان محصول الحياة منية فسيان حالا كل ساعٍ وقاعد

كتبت هذه الوثيقة التاريخية في القرن السابع للهجرة وهي تهدف بنا الى المناحي التي



أخذ عنها الخيام فلسفته فتقرر أن الخيام « يعلم علم اليونان ، ويأمر بالتزام السياسة المدنية حسب القواعد اليونانية » وتكشفنا على أمر آخر خطير يعزل ذهاب الناس بالخيام مذهب المتصوفة فتدلنا الى سر ذلك فنقول بأن بعض المتصوفين وقفوا على شيء من ظواهر شعره فنقلوه الى طريقتهم وتحاضروا به في مجالسهم وخلواتهم وهذا يعمل السبب في اختلاف عدد الرباعيات وكثيرتها ويكشف لنا السر في وجود الرباعيات المنسوبة الى الخيام فهؤلاء المتصوفون هم الذين أدخلوا الكثير من نظمهم على رباعيات الخيام فنحلوه إياه وتدل هذه الوثيقة على أن الخيام لم يسلم من نقد عصره واتهامه إياه بالزندقة حتى أنه خشي على دمه ، وكف عن أسلوبه في التمسك بالعبادات والتقاليد والعقائد وذهب بحج بيت الله متاعاً ودفعاً لسوء يناله أو مكروه يصيبه من الناس

وتشير هذه الوثيقة الى أن الخيام كان صاحب مدرسة يتبعه في مذهبه تلاميذ وأشباع فتقرر بأنه لما عاد من الحج الى بغداد أقبل اليه « أهل طريقتة في العلم القديم فسد دونهم الباب سد النادم » وتقرر بأن الرجل كان يخشى على نفسه من خصومه فتظاهر بعد الحج بالعبادة والتقوى « ورجع من حجته الى بلده يروح الى محل العبادة ويغدو ، ويكتم أسرار له ولا بد أن تبدو »

( هـ ) كتاب آثار البلاد وأخبار العباد وهو مؤلف عربي في الجغرافية كتبه زكريا القزويني سنة ٦٧٤ هـ وقد ذكر الخيام عند كلامه على مدينة نيسابور قال « ينسب اليها من الحكماء عمر الخيام ، كان حكيماً عارفاً بجميع أنواع الحكمة سيما النوع الرياضي ، وكان في عهد السلطان ملكشاه السلجوقي ، سلم اليه مالاً كثيراً ليشتري به آلات الرصد ، ويتخذ رصد الكواكب . فمات السلطان وما تم ذلك »

( و ) كتاب جامع التواريخ كتبه رشيد الدين بن فضل الله المتوفى سنة ٧١٨ هـ جاء فيه ما ترجمته (١)

ان اسباب العداوة والنفرة التي كانت بين سيدنا حسن الصباح وعمر الخيام ونظام الملك انهم كانوا في مدرسة واحدة ، وكان بينهم صفاء واخاء وصداقة عظيمة كما يحدث بين ابناء المدارس ، حتى وصلت الصداقة الى اوجها ، واتفقوا على الاخاء والمحبة ثم اتفقوا على ان من ينال منهم رتبة علمية يساعد الآخرين ، وبحسب الاتفاق ، اتفق ان وزير نظام الملك وزيراً كما هو مذكور في تاريخ آل سلجوق فذهب اليه عمر الخيام وذكره بالعهود

(١) الترجمة للصراف . وذكر رس ان هذا الكتاب قد تم تأليفه سنة ١٣١٠ م أي حوالي سنة ٧١٠ هـ



والمواثيق في أيام الصبا فتذكر نظام الملك الحقوق القديمة وقال له : وليتك نيسابور ونواحيها وكان عمر حكيماً عظيماً فاضلاً عاقلاً فقال : ليس لي طاقة بالسياسة وأمر العوام ونهيم فأعطي راتباً شهرياً بحسب الوظيفة . فأعطاه نظام الملك عشرة آلاف دينار في السنة من دخل نيسابور المحروسة بدون نقص ولا انقطاع ... وكذلك سيدنا حسن الصباح ذهب من الري الى نظام الملك ليحظى بخدمته ، وقال له : الكريم اذا وعد وفى ، فقال له نظام الملك : اختر بين ولاية الري وأصفهان « وكان سيدنا ذا همة عالية فلم يقنع بذلك ولم يرض به وكان يتوقع ان يشاركه بالوزارة فقال له نظام الملك : كن ملازماً لحضرة السلطان مدة . ان نظام الملك كان يعلم ان حسن الصباح كان طالباً لأن محل محله في الوزارة والرتبة فكان يتحذر منه ، وبعد منين استوحش السلطان من نظام الملك ورفع الحساب من عهده »

تصف هذه الوثيقة حكاية الرفاق الثلاثة وما اتفقوا عليه فيما بينهم من عهد أيام الصبا والمدرسة ، وتذكر ولاية نظام الملك الوزارة وذهاب عمر الخيام بطالبه البر بوعده ، وتذكر وفاء الصديق نظام الملك للخيام وكيف أقطعه ولاية نيسابور وكيف أبى الخيام هذا وطلب راتباً يناله ، وكيف أجيب الى بغيته . وتذكر هذه الوثيقة كيف سعى حسن الصباح الى صديقه القديم وكيف طالبه برأ بوعده ، وكيف كان يصمر لصديقه الوزير من طمع في الجاه والوزارة ، فلم يقنع بولاية الري أو أصفهان ، كما تذكر ان نظام الملك أحسن بهذا الخطر عليه من زميله القديم فأبعده عن نفسه ولكن الحق بخدمة السلطان ، كما تشير هذه الوثيقة اشارة خفية الى ان السلطان غضب بعد ذلك على نظام الملك فخد من اشرافه على أموال الدولة بسبب سعاية حسن الصباح

على انه يظهر جلياً ان صاحب هذه الوثيقة كان من أتباع الباطنية بدليل انه يذكر حسن الصباح مقروناً بلفظة « سيدنا وأنه كان ذا همة عالية » فلم يقنع بالعرض السخي الذي عرضه عليه نظام الملك ، وبدليل انه لم يصرح بنقد حسن الصباح في سعائته عند السلطان ووشائته بصديقه وولي نعمته نظام الملك

\*\*\*

والمواقف التي جمعتهما هذه الوثيقة تجعلنا نعتقد ان الخيام قد اجتمع بصديقه القديم حسن الصباح ، فهل تعاون الخيام في نشر الدعوة الباطنية مع صديقه صاحب هذه الدعوة ، وهل تخفي الرباعيات عقائد الباطنية مطوية مسطورة ؟ لعلنا نظفر بشيء من ذلك في دراستنا المقبلة للخيام .



# فلاسفة الرواق

للدكتور عثمان أمين

مدرس الفلسفة بكلية الآداب

(١) كروسيوس

١ - \* شخصيته \* هو تلميذ « كلياينتس » وآخر ممثلي الرواقية القديمة وأبدهم أثراً وأكثرهم إنتاجاً عقلياً . ذكر ديوجانس اللايرسي أن القدماء كانوا يقولون : « لولا كروسيوس لما أمكن أن تقوم لمدرسة الرواق قائمة » بعد اضمحلالها في عهد « كلياينتس » (٢) ولد كروسيوس حوالي سنة ٢٧٧ ق.م في مدينة « صول » بجزيرة قبرص . وكانت قبرص في ذلك الحين مسرحاً للمنازعات السياسية بين البطالسة حكام مصر من جهة وبين ديمتريوس وانطيغوناس من جهة أخرى . واذن كانت جزيرة قبرص بلاداً قد قضي فيها على التقاليد القومية وحال فيها تقلب الحكام والسادة الفاتحين دون ازدهار الشعور بحب الوطن (٣) فلم يكن من العسير على كروسيوس وقد نشأ في بلاد كهذه أن يجعل المثل الأعلى في الأخلاق فكرة الجامعة العقلية الروحية التي تنادي بأن الفيلسوف لا وطن له أو أن وطنه هو الكون بأسره

وكان لكروسيوس قوة على الجدل عظيمة حتى قيل في عصره « لو كان بالآله حاجة إلى فن الجدل لاتخذوا جدل كروسيوس » . ولقد كان كروسيوس نفسه — فيما يروى — يقول لأساتذته أنه ليس بحاجة إلى شيء أكثر من تقرير المسألة وهو كفيل بأن يجد من نفسه البرهان عليها (٤) ولقد تاب عليه بعضهم مرة أنه لم يجار الجمهور في الذهاب إلى استماع

(١) يذكره القفطي باسم « كرسفس » ( أخبار الحكماء طبع مصر ١٣٢٦ ص ١٧١ ) والشهرستاني

باسم « خروسيوس » ( الملل والنحل طبع مصر ( بهامش الفصل لابن حزم ) ج ٣ ص ٩٩ )

(٢) Diogène Laerce, Vie des Philosophes VII, 183.

(٣) Bréhier, Chrysippe, p. 8

(٤) Diogène Laerce, VII, 179



دروس « ارسطون »، فأجاب « لو انني كنت تابعت الجمهور لما درست الفلسفة <sup>(١)</sup> » وهذا دليل على مبلغ ما طبع عليه من الاعتداد بالنفس وقلة التواضع

٢ — « أساتذته » تتلمذ كروسيوس لـ كليانثس في الرواق . وروي « سطيون » الاسكندري أن « كروسيوس » كان يختلف الى الاكاديمية المنافسة للرواقية . وكان يحضر الدروس التي كان يلقيها « ارقزيبلاس » و « لاقيدس » . ويقول « ديوجانس اللايرسي » ان هذا يفمر لنا كيف ان « كروسيوس » كتب رسالة في مناقب « العادة » وفي مساوئها كما يفمر استعماله منهج الاكاديمية في الكلام على الحجم والاعداد <sup>(٢)</sup> . ويذكر « شيشرون » شيئاً عن مضمون رسالة « كروسيوس » هذه التي جمع فيها طائفة من أقوال الاكاديميين وحججهم في نقض معيار الحقيقة . ويضيف أن « قرنيادس » — وهو من أنصار الاكاديمية الجديدة — لم يكن محتاجاً الى أن يخترع حججاً جديدة لهدم معيار الحقيقة بل كان يكتفي بما أورده « كروسيوس » في رسالته المتقدمة الذكر <sup>(٣)</sup>

لكن فيما أورده « سطيون » عن اختلاف كروسيوس الى الاكاديمية ما يدعو الى الظن أن تلك القصة ليست الا افتراضاً محضاً قصد منه أن يفمر لنا وجود نظريات اكاديمية مبسطة في مؤلفات كروسيوس . ولعل هذا يدل على رغبة كروسيوس في أن يقف تمام الوقوف على حجج خصومه وعلى تحريره الدقة في العلم بأرائهم <sup>(٤)</sup>

٣ — « تعليمه » ويظهر ان كروسيوس جعل من التعليم شغله الشاغل حين تولى الاشراف على الرواق . فقد أجمع رواة الاخبار على انه كان يُعنى على الدوام بحسن ادارة المدرسة وانتظام سيرها وعلى انه كان من الاساتذة المجتهدين يؤدي مهمته كل يوم بهمة لا تعرف الملل <sup>(٥)</sup> والذي ورد في الفهرست الهرقولياني من انتظام ساعات دروسه قد يذكّر بالموعود المضبوط الذي كان يخرج فيه الفيلسوف الالمانى « كانت » كل يوم طلباً للرياضة

كان زينون صديقاً لانطيغوناس ملك مقدونيا كما ذكرنا واتصل « سفيروس » الرواق بالملك « كليومين » ثم ببلاط الملك « فيلوباطر » بالاسكندرية <sup>(٦)</sup> لكن كروسيوس لم يتصل بأحد من اهل الجاه . وينبغي أن تقرر مع « ديوجانس اللايرسي » أنه وحده خالف العادة

(١) Diogène Laerce, VII, 183-184 (٢)

(٣) Cicéron, Premières Académiques, II, 87. — Arnim, II 34, 12

(٤) Diogène Laerce, VII, 182 (٥) Bréhier, Chrysippe, p. 11

(٦) Diogène Laerce, VII, 177



المتبعة في اهداء الكتب الى الملوك فلم يهد من مصنفاته الكثيرة شيئاً الى ملك أو امير<sup>(١)</sup> ولعل أهم طابع في منهج التعليم عند « كروسيوس » هو انه نظري تلقيني (دجاتيقي) فقد كان الناس حتى ذلك العهد يسرون على التقاليد السفسطائية التي تنحو نحواً عملياً صرفاً في التعليم، فكان هم المدارس أن تلقن الطلاب بواسطة التدريب على الخطابة كيف يمهرون في تأييد الآراء أو نقضها على السواء. وذاعت تلك الطريقة في التعليم حتى كادت مدرسة ارسطو نفسها أن تصير شيئاً فشيئاً مدرسة لتخريج الخطباء<sup>(٢)</sup> واتخذت الاكاديمية منذ « ارفيزيلاس » « منهج جورجياس » « السفسطائي ». وهو عبارة عن الكلام في نقض كل رأي يطرح للبحث أو تأييد أي رأي كان. وأمثال تلك المناهج في التربية والتعليم تدل على شيء من التشكك وعلى ان الغاية من التعليم عملية صرفة كما اشرنا. لكن « كروسيوس » وإن لم يكن يستنكر كل الاستنكار طريقة عرض الآراء المخالفة، كان يرى فساد هذا المنهج ما دام الباحث يريد لاقتناعاً عملياً بل علماً اخلاقياً. ذلك ان معارضة الحق بالرأي الشبيه بالحق قد تزعزع في النفوس، وهذا لا يناسب الا من يريدون التوقف في الحكم. ومن أجل ذلك وجب في عرض آراء مخالفة لآرائنا أن لا نعرضها الا بعد ان نهدم ما يجعلها شبيهة بالحق<sup>(٣)</sup>

٤ — \* كروسيوس وأقيسته المنطقية \* يذكر ديوجانس اللايرسي أن كروسيوس كان يصوغ أقيسة منطقية من القبيل الآتي : « ما ليس في المدينة ليس في البيت أيضاً . ولا بئر في المدينة ، اذن لا بئر في المنزل » وقوله « يوجد رأس ما . وذلك الرأس ليس لك . فاذا كان ذلك كذلك فهناك رأس ليس لك واذن أنت من دون رأس » . ثم قوله « اذا كان شخص في ميغارا فهو ليس في أثينا . ويوجد الآن رجل في ميغارا ، اذن لا يوجد أحد في أثينا » . ومنها قوله « اذا قلت شيئاً مرّ من شفتيك . وأنت تقول عربة . اذن هنالك عربة تمر من شفتيك » . وقوله « اذا لم تكن فقدت شيئاً قط فأنت ما زلت مالكاً إياه . ولكنك لم تفقد قط قروناً . اذن فأنت صاحب قرون<sup>(٤)</sup> » ... !

ولم يبين لنا ديوجانس اللايرسي ماذا كان قصد « كروسيوس » من ايراد أمثال هذه الأقيسة العجيبة . ولكن يحيل الينا أن « كروسيوس » انما أوردها مازحاً ، وانه أراد أن

(١) Diogène Laerce, VII, 183 (٢) Cicéron, orator, 46

(٣) Plutarque, De Stoic. repug., 10 cité par Bréhier, Chrysippe p. 16

(٤) Diogène Laerce, VII, 186-187



يبين قلة الكفاية في أقيسة المنطق الصوري الارسطاطاليسي وانها يمكن أن تؤدي الى نتائج مضحكة لا تخلو من سخف وان تكن سليمة من حيث الصورة ، وعلى ذلك تكون مراعاة المادة في المنطق واجبة

٥ - \* مصنفات كروسيوس \* كان كروسيوس واسع الاطلاع دائم التأليف أراد أن ينشئ في علوم زمانه موسوعة تحل محل الموسوعة الارسطاطاليسية فألف في المنطق والطبيعات والاخلاقيات . ألف فيما يروى نيفاً وسبعمئة كتاب لم يبق منها إلا شذور قصيرة أورد ديوجانس اللايرسي فهرساً لكتب كروسيوس <sup>(١)</sup> فذكر فيه ١١٩ مصنفاً في المنطق — أكثرها مقصورة لا تزيد على فصل واحد — وذكر ٤٣ كتاباً في الاخلاق . ولكن الفهرس المنطقي ناقص في أوله ، وفي ترتيب مواده اضطراب كبير ، فهو لا يوافق تقسيم المنطق عند كروسيوس على نحو ما عرفه ديوقليس الماغنيمي <sup>(٢)</sup> وعلى نحو ما يستفاد من كلام شيشرون <sup>(٣)</sup> . ثم ان فهرس الكتب الاخلاقية مضطرب كذلك أشد اضطراب فهو يحوي عدداً كبيراً من المصنفات المنطقية قد دسّت فيه دسّاً . واذن فهذا الفهرس كله ليس مصدره « كروسيوس » بل الظاهر ان واضعه أحد القيمين على المكتبات القديمة الذين يجهلون أهم معاني الفلسفة الرواقية <sup>(٤)</sup>

واذا كان فهرس ديوجانس اللايرسي قد خلا من ذكر المصنفات الطبيعية لكروسيوس فان من الكتاب المتأخرين كشيرون وبلوطرخس من ذكروا من هذا القبيل ١٩ مصنفاً طبيعياً <sup>(٥)</sup>

ومن مصنفات كروسيوس المشهورة في الطبيعيات ( ولم يذكرها ديوجانس اللايرسي ) رسالة في النفس ورسالة في الآلهة ورسالة في القضاء والقدر ورسالة في العناية ومن مصنفات كروسيوس في الاخلاق رسالة في الاهواء <sup>(٦)</sup> ورسالة في الفرق بين الفضائل <sup>(٧)</sup> ورسالة في الجمهورية <sup>(٨)</sup>

(١) انظر قائمة كتبه الطويلة في : Diogène Laerce, VII, 198-202

(٢) Diogène Laerce, VII, 62 ( Arnim, II, 38, 5.

(٣) Bréhier, Cicéron, orateur, 32, 115

(٤) Bréhier, Chrysippe, 30 (٥) Bréhier, Chrysippe, p. 20-22

(٦) Diogène Laerce, VII, 202 (٧) Bréhier, Chrysippe, 36-51

(٨) Bréhier, Chrysippe, 33-55



٦ — ﴿نظريات كروسيوس الخاصة﴾ : روى بلوطرخس ان كروسيوس بسط نظرية المعاني السابقة ونظرية المعاني الشائعة بسطاً وافياً ورتبها ترتيباً واضحاً. وقال شيشرون ان كروسيوس هو صاحب النظرية التي يفرق فيها بين العلل الاولى والعلل الثانية ليوافق بين نظرية القضاء والقدر وبين فكرة المسؤولية والحرية الاخلاقية ، فقال ان القضاء المحتوم انما ينصب على العلل الثانية . اما ميولنا وهي العلل الاولى فهي في مقدورنا ونحن احرار في توجيهها (١)

ولكن عيب على كروسيوس اسرافه في نظرية الرواق عن الاشياء « السواء » اعني الاشياء التي ليست خيراً ولا شراً كالحياة واللذة والارتزاق  
وأخذ على كروسيوس كذلك انه أباح في كتابه الجمهورية الزوج من الاقربين كزواج الأب من ابنته والابن من أمه والاخ من أخته . وانه في كتابه العدالة أباح للناس ان يأكلوا لحوم البشر (٢)

وعاب خصوم كروسيوس عليه ، فضلاً عما ذكرناه ، ان أسلوبه كان ثقيلاً وان لغته لم تكن مهذبة مختارة وانه مثلاً حين فصر قصة « هيرا » و « زيوس » قد تفوه بألفاظ لا تليق بجلال الآلهة بل هي أولى بأن تصدر من « أولاد الشوارع » كما قال ديوجانس اللايرسي (٣)  
والحقيقة ان كروسيوس كان دائماً مضطراً الى ان يتكلم أو أن يكتب مستعجلاً اما لتوضيح مسألة أو للرد على خصم فلم يستطع في مثل تلك الحال ان يتوخى في أقواله أو في مصنفاته ما كان يتوخاه ككتاب ذلك الزمان من رشاقة العبارة وجمال الاسلوب (٤)

٧ — ﴿ مهمة كروسيوس في الرواق ﴾ حمل كروسيوس عبء التراث الرواقي فكان عليه أن يضطلع بواجبين : الاول — ان يجمع كلمة الرواقيين بعد أن تفرقوا شيعاً كثيرة لا انسجام بينها ولا خطر لها . والثاني — أن يدفع عن الرواق هجمات الخصوم أو المنافسين . أما الواجب الاول فقد وفق كروسيوس في ادائه . اذ تولى الرد على « ارسطون » و « هيرلوس » بل « كليانتس » . وكانت ردوده حاسمة فوضع بذلك حداً للمناقشات الطويلة التي كانت سبباً في انشقاق الرواقيين على أنفسهم . وأما الخصوم والمنافسون الذين كان عليه أن يواجههم فكثيرون ، أهمهم ينتمون الى مدرستين احدهما الابيقورية وهي معاصرة على وجه التقريب للمدرسة الرواقية والثانية هي الاكاديمية الجديدة وهي مدرسة كانت تنسب الى أفلاطون

(١) Cicéron, De fato, 18 (٢) Diogène Laerce, VII, 188

(٣) Diogène Laerce, VII, 187-188 (٤) Diogène Laerce, VII, 180



ولكنها رأيت ان تدعو باسمه الى مذهب الشك . ولنحاول ان نرى الآن ما عسى أن يكون شعور كروسيوس والرواقين نحو هاتين المدرستين

أما الأبيقوريون فلم يكن الرواقيون ينظرون اليهم إلا نظرات الازدراء . فالأبيقوريون قوم لا ثقافة لهم . يحتقرون الجدل فلا يجيبون على حجج الرواقين القوية واعتراضاتهم الدقيقة إلا بتصريحات غامضة وتوكيدات عامة من غير دليل . وكثيراً ما كانوا يحاولون الاجابة عن نتائج الاستدلالات المنطقية فيقنعون بقولهم « ليس هذا صحيحاً » . فاذا أراد الرواقيون مثلاً أن يبرهنوا لهم على ان اللذة ليست في عداد الخيرات ورأيهم يجيبون . « اللذة خير . هذا شيء نحسه كما نحس ان النار تسخن ولا يمكن ان يبرهن عليه » لكن موقف الرواقين من شكك الاكاديمية كان في الحق موقفاً يخالف موقفهم من الأبيقوريين . كان لا بد لكروسيوس ان يناهض ادلتهم وان يقارع حججهم بما لا يقل عنها قوة وبراعة . فاضطر ان يحاربهم بمنزل أسلحتهم فانتهج في ذلك منطقاً دقيقاً محبوكاً وكان له منه ما أراد . بل انه بلغ من المهارة في فنون الجدل والحجاجة واثارة الشكوك ما لا مطمع وراءه

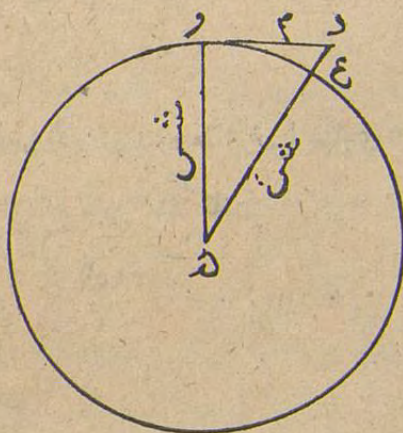
ولكن مذهباً كان مضطراً الى الدفاع عن أمره في شتى النواحي كان لا بد له ان يتسع شيئاً فشيئاً وان يزيد وضوحاً . وأكبر الظن ان كروسيوس بقي مخلصاً لآراء زينون في المواضع الأساسية ولم يمنع ذلك من ان يضيف اليها بعض التفاصيل وان يوضح ما كان منها بحاجة الى إيضاح حتى أصبحت الرواقية بفضل جهوده فلسفة تامة مرتبطة الأجزاء واضحة المعالم . ومن المحقق ان كروسيوس اوضح طائفة من المسائل ظلت غامضة بعد زينون وكتباته من ذلك مسألة معيار اليقين والعرفة . وكروسيوس هو يقيناً صاحب الفضل الأكبر في بناء علم النفس الرواقي وهو على الخصوص المنشئ للمنطق الرواقي كله او يكاد . فاذا كان ذلك كذلك فما نظن ان القدماء كانوا مغالين حين قالوا . « لولم يوجد كروسيوس ما وجد الرواق » (١)

وجملة القول ان كروسيوس دافع عن المذهب الرواقي دفاعاً قوياً مستمراً ولم تسلك عزيمته عن مناصرة المدرسة على كثرة الهجمات التي كانت ترد اليه من كل صوب ، من الأبيقوريين ومن الشكك ومن تلاميذ « زينوقراط » و « استراتون » وغيرهم . ولا شك ان كروسيوس هو الذي دأب على تنظيم الرواقية وبسطها بسطاً ثبتت به دعائمها مدى خمسة قرون ، حتى جاء افلوطين الاسكندراني ففوض بفلسفته جميع المذاهب المادية



# باب المراسلة والمنظرة

## مدى الرؤية من الطيارة



في صفحة ٤١٤ من مقتطف ديسمبر الاخير جدول مدى الرؤية من طائرة محلقه .  
ولاستخراج مسافة مدى الرؤية ، أي المسافة من مرتفع الراصد الى الافق ، طريقة رياضية  
بسيطة مهما كان مقدار الارتفاع

الرسم يمثل محيط الارض ونقطة د ترمز الى موقع ارتفاع الطيارة أو قمة الجبل أو أي  
مرتفع عن سطح البحر . والحرف و يرمز الى الافق . والحرف م يرمز الى المسافة بين  
الناظر والافق

الرسم الخط و هـ وهو شعاع (نصف قطر) الارض والرسم الخط د هـ وهو مؤلف من  
الشعاع ش والخط ع الذي هو مقدار الارتفاع



ومن حيث ان الخط د و ( الذي هو م ) مماس للدائرة فهو مع الشعاع ش يعمل زاوية قائمة . فمثلث و د ه قائم الزاوية

\*\*\*

وبحسب قضية فيثاغورس مربع د ه الذي هو ع + ش يساوي مجموع مربعي م<sup>٢</sup> + ش<sup>٢</sup> هكذا :

$$(ع + ش)^2 = م^2 + ش^2$$

$$ع^2 + ٢ ع ش + ش^2 = م^2 + ش^2$$

$$م^2 = ع^2 + ٢ ع ش$$

وهو معلوم ان نصف قطر الأرض المتوسط ( ش ) يساوي ٣٩٥٧ ميلاً تقريباً

فاذا كانت الطيارة على ارتفاع ميلين مثلاً كانت

$$م^2 = ٢ م + ٢ \times ٢ \times ٣٩٥٧$$

$$م^2 = ١٥٨٢٨$$

$$م = ١٢٦ \text{ ميلاً تقريباً}$$

ولنفرض ان الارتفاع ميل واحد فقط

$$م^2 = ٢ م + ٢ \times ١ \times ٣٩٥٧$$

$$م = ٨٩ \text{ ميلاً تقريباً}$$

$$\text{الميل} = ٥٢٨٠ \text{ قدماً}$$

\*\*\*

امتحن ذلك الجدول بهذه الطريقة فالرقم الذي يطابق نتيجة هذه القاعدة يكون ضوياً

نقولاً الحداد

وإلا فهو خطأ .



# التعريف والتتقيب

نستحدث هذا الباب وتبسط فيه إرادة أن نتدبر  
ما يتصل بقضايا الفكر وما يدخل في شؤون  
الدوق ، فنجريه إلى غايتين : إحداهما مراجعة  
بعض ما يخرج في العلم والأدب والفن كتابة  
أو أداء ، والآخرى نشر ما انطوى من  
الضنائن المخطوطة أو المهملة . ومقصودنا أن  
يصبح هذا الباب مرجعاً للمستطلع السائل  
ومعرضاً للمستبصر الراكن . هذا ويشترك في  
إنشاء الباب نفر من أهل النظر وأعداء الهوى

بشر فارسى



# المشتمل

## ١ - الفنون الرفيعة

معروض السجّاد التركي بقلم زكي محمد حسن

## ٢ - الكتب

« الاسلام اليوم » نقد بقلم إبراهيم عبد القادر المازني  
« قوانين الدواوين » - - محمد عبد الغني حسن  
كتب ظهرت

## ٣ - المحاضرات

علاقة مصر بالأجانب بقلم كامل محمد عجلاز  
وظيفة الجامعة في العالم الحديث - - زكي محمد حسن

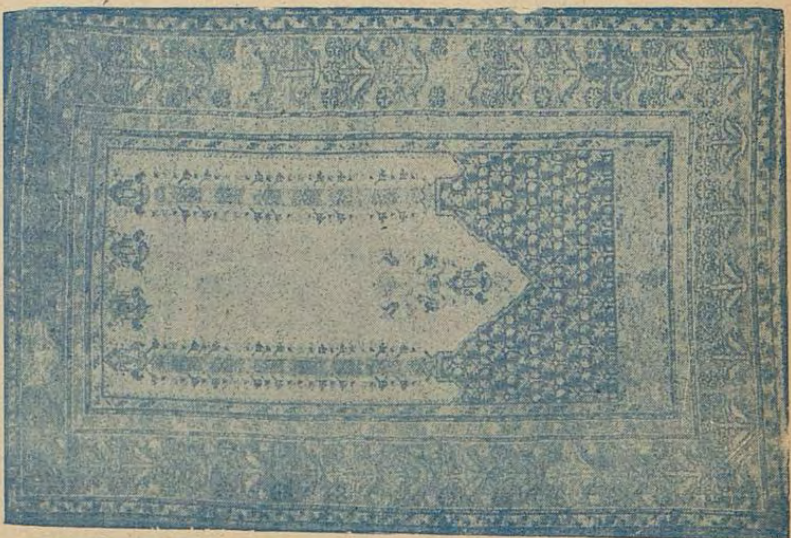
## ٤ - الذاهبون

جان جيروودو بقلم بشر فارس

## ٥ - التعقيب

كلمة بقلم محمد يوسف موسى  
كلمة - - أحمد محمد شاكر

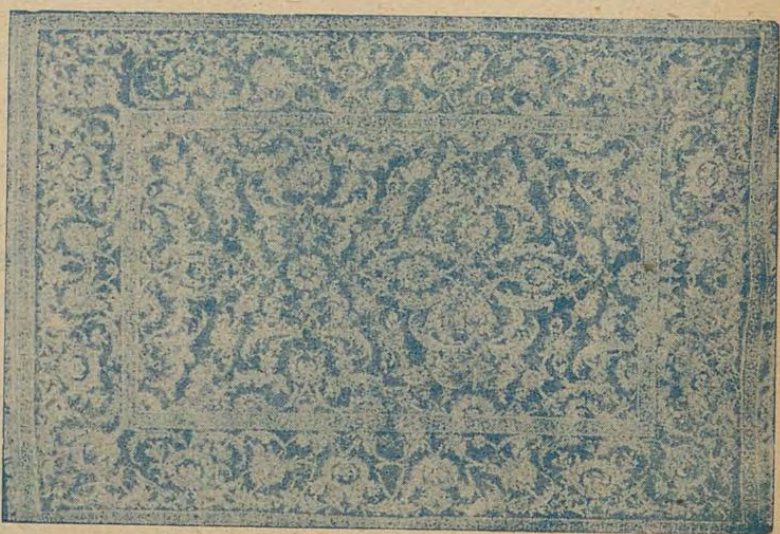




« كوردھس » القرن الـ ١٧

( الرقم ٥٢ )

تصویر محمد محمود شلبي



« دمشق » القرن الـ ١٦

( الرقم في دليل المعرض : ١٨ )



## ١ - الفنون الرفيعة

سبق لي ان كتبت في المقتطف ان العناية بالاعلاق والالطاف من دلالات الثقافة المنفعلة. وهذه دار الآثار العربية في القاهرة تهيء معرضاً للطوائف التركية. وسيفتح المعرض للجمهور مع خروج هذا العدد، وقد نظم المعرض الاستاذ المستشرق جاستون فييت G. Wiet مدير الدار والاستاذ حسين راشد رئيس أمنائها. فهما حقيقان بالتهنئة والشكر ودونك بحثاً في الطوائف التركية وخصوصاً عن نفائس المعرض بقلم بصير يضطلع بتعليم الفنون الاسلامية في جامعة فؤاد الاول

ب . ف

## معرض السجاد التركي

بدار الآثار العربية في القاهرة

شاء الاحتياط من خطر الغارات الجوية في هذه الحرب أن تنقل دار الآثار العربية وغيرها من المتاحف السكنوز الثمينة الى مخابىء أمينة، فكان من ذلك أن حرم الجمهور المصري وزلاء مصر الكثيرون مشاهدة معظم بدائع الفنون المصرية من العصر الفرعوني الى عصر الأسرة الحمادية العلوية. وكان دار الآثار العربية رأيت أن تخفف من وطأة هذا الحرمان فعملت على أن تنظم كل عام معرضاً لجانب من جوانب الفنون الاسلامية تساهم فيه بقسط يسير من نفيس مقتنياتها وتكشف فيه عن روائع الفنون الاسلامية التي غني بجمعها نخبة من أعلام المصريين

وقد أصاب معرض العام الماضي نجاحاً عظيماً وكانت الدار قد جعلته وفقاً على الصور الايرانية والهندية والتركية من مجموعة شريف صبري باشا. وأتيح للاستاذ فييت مدير دار الآثار أن يضيف الى المكتبة الفنية سفيراً جليلاً في وصف هذه المجموعة

أما هذا العام فقد قامت الدار بتنسيق معرض جميل للسجاد التركي وأحسنه صنعا في تعزيزه ببعض نفائس الطراز التركي من المنسوجات والتحف الخزفية والمعدنية. وقد ساهم في هذا المعرض الى جنب دار الآثار العربية نخبة من أصحاب المجموعات الفنية النفيسة، بينهم من المصريين الامير يوسف كمال وشريف صبري باشا والدكتور علي ابراهيم باشا والدكتور بشر فارس، ومن الاجانب السير روبرت جريج



المعروف ان آسيا الصغرى كادت تعادل ايران في مقدار ما تفتحه من السجاد الذي كان يصدر الى مختلف الآفاق . أما من حيث النوع فلا شك أن بعض ضروب السجاد التركي من حقه أن يدخل في أبداع السجاجيد الشرقية . وذلك لأن بلاد الاناضول وفيرة المراعي ، يجود الصوف في جوها البارد وأرضها الجميلة ، وعلى مقربة من مراكز الفسج فيها مياه خالية من الاملاح يُغسل فيها الصوف فتجود صباغته بعد ذلك ، ومع هذا فإن السجاجيد التركية بوجه عام دون الايرانية في الفسج وكثرة الألوان والزخرفة

ونسج السجاد قديم في آسيا الصغرى . وقد أشار الرحالة مركوبولو في القرن الثالث عشر الى السجاجيد السلجوقية الجميلة في تلك البلاد ، وكذلك ذكرها ابن بطوطة في القرن الرابع عشر . بل وصل اليها ثلاث سجاجدات تركية قديمة ترجع الى عصر السلاجقة في القرن الثالث عشر والرابع عشر بعد الميلاد . وكانت هذه السجاجدات محفوظة في جامع علاء الدين بمدينة قونية ثم نقلت منه الى متحف الاوقاف في استانبول . والواقع ان مركوبولو ذكر مدينة قونية Iconium في مقدمة بلاد التركان أو الروم السلاجقة فقال ان أدق طنافس العالم وأبداعها كان ينسج فيها على أيدي السكان الذين كانوا مزيجاً من الترك والأرمن واليونان

ويظهر في تلك السجاجيد التركية القديمة التي وصلت الى العصر الحاضر ما ظلّ جارياً بعد ذلك من وجود ساحة ( أو : أرض ) متوسطة في السجادة فيها الرسم الرئيسي ويحيط بها إطار ( أو : كنار ) قوامه أشرطة تختلف في العدد والعرض بحسب نوع السجاد . والمساحة تشتمل على رسم هندسي بسيط متكرر أو على أشكال صغيرة متعددة الاضلاع مكررة في صفوف ومناطق منظمة . أما الاطار فتوسط العرض وزخرفته من أشكال هندسية أو من حروف كوفية غير مقروءة <sup>(١)</sup> ، على النحو الذي نعرفه في كثير من التحف الاسلامية حين يعتمد الفنانون الى استعمال الكتابة للزخرفة فينقلون أطراف كلمات أو مقاطع حروف ويكررونها من غير رعاية للمعنى . ونسج السجاجيد المذكورة لا يزال غليظاً بعض الشيء ، ولكن التنسيق بين الألوان الأحمر والزرق والصفير فيها يشهد بمهارة وذوق فني لطيف

وطبيعي ان زخارفها عليها مسحة من البداوة ولا أثر فيها للرسم النباتية أو رسوم الكائنات الحية . ومع انها الأساس الذي قام عليه السجاد التركي في القرون التالية فإن أشبه السجاجيد بها كان ينسج في الاندلس والمغرب في القرنين الرابع عشر والخامس عشر

(١) انظر : Bode — Kühnel : Vorderasiatische Knüpftteppiche aus :



وأقدم ما نعرفه من السجاجيد التركية بعد هذه المجموعة القديمة يرجع الى القرن الخامس عشر . وقد دخلته رسوم الحيوان والطيور ولكنها رسوم بعيدة عن الطبيعة وقوامها خطوط مستقيمة يجعلها مجموعة من الاضلاع والزوايا . وخير مثال لذلك قطعة من سجادة هي الآن في متاحف الدولة في برلين . وفي هذه القطعة منطقتان في كل منهما رسم هندسي لحيوانين خرافيين يتعاركان ، وحول الرسم إطار من رسوم هندسية بسيطة

ولا يزال نسج السجادة خشناً ، وأما أرضها فصفراء ، على حين ان رسوم الحيوانات زرق وحمراء . اما زخارف الاطار فحمراء وسوداء . وقد قرأت أن في المتحف التاريخي بمدينة استوكهولم قطعة من سجادة تشبه القطعة التي نحن بصدددها وفيها رسم طائرين متواجهين<sup>(١)</sup> ولكنها لم أر صورة لها . ويلوح ان سجادة زويجية قديمة قد زخرفت برسم يشبه رسم الحيوانين في القطعة المحفوظة في برلين . ولا يميل مؤرخو الفنون الى ادراجها في المنتجات الشرقية بل يرجحون ان صنعاً من اهل اسكندرياء ونقلوا الزخرفة عن سجادة شرقية حصلوا عليها بواسطة التجارة المزدهرة بين الشرق وأمم الشمال عن طريق الروسية او بواسطة القرصان الترويجيين الذين كانوا يبلغون سواحل البحر الابيض المتوسط<sup>(٢)</sup>

وفضلاً عن ذلك كله ان رسوم بعض السجاجيد التركية قد وصلت اليها مستعملة في الألواح الفنية التي خلفها فنانون هولنديون أو إيطاليون فيما بين القرن الثالث عشر والقرن السادس عشر ، مما يشهد بأن تلك السجاجيد كانت تصدر الى اوروبا في زمن اولئك الفنانين . والحق ان كثيراً من قصور المدن الإيطالية وكنائسها القديمة تحتوي حتى الآن على تحف ثمينة من السجاد التركي القديم ، بل ان أكثر ما في متاحف العالم من هذا السجاد صار اليها من تلك القصور والكنائس . ومن الفنانين الإيطاليين والهولنديين الذين رسموا الطنافس التركية في ألواحهم الفنية جيو توتو Giotto ودومنيكو دي بارتولو Domenico di Bartolo وفرا انجيليسكو Fra Angelico وكارباتشيو Carpaccio وهولباين Holbein وثان ايك Van Eyck وميملينج Memling

\*\*\*

والمعروف ان المنطقة الرئيسية لنسج السجاد في تركيا هي النجاد الواقعة في الاناضول على مسافة غير بعيدة من شاطئ البحر الابيض المتوسط . فنطقة — عشاقي وكوردوس وقولا —

(١) انظر من ٤٣٢ : Dimand : A Handbook of Moham. Decorative Arts

(٢) المرجع السابق ، من تأليف الاستاذين بوده Bode وكونل Kuehnel من ٣٦



وكلها غربي آسية الصغرى — لا تزال تنتج مقداراً كبيراً من السجاجيد التركية، وأصبحت أزمير منذ القرن السادس عشر قاعدة هامة لتصدير تلك الطنافس الى اوروبا، حتى نسب اليها ضرب من الطنافس كان يصنع فيها او على قرب منها، وكان جل القائمون عليه من الجاليات الاجنبية في أزمير ممن يشتغلون برسم زخارفه وتعيين مساحته والاشراف على نسجه بحسب الرغبات الأوروبية. هذا وان كانوا يقدون في زخارفه رسوم السجاجيد الشرقية القديمة ولا سيما السجاجيد الايرانية فقد كانوا احياناً يستعملون رسوماً يرغب فيها عملاؤهم في الغرب، ويلتزمون أبعاداً يعينها أولئك العملاء وهي توافق حجرات البيوت المعدة لها في اوروبا. والملاحظ مع هذا ان منطقة «عشاق» لا تزال تنتج حتى الآن طنافس تشبه النوع الذي نحن بصددده. فأصبحت المجموعة كلها، قديمها وحديثها، تنسب الى مدينة عشاق، وكادت النسبة الى أزمير أن تذهب. وليست الطنافس المنسوبة الى عشاق نوعاً واحداً، بل هي أنواع

وتدل صناعتها على انها من فصيلة واحدة. فأشهر أنواع تلك الطنافس نوع سجاجيد ه كبيرة خشنة النسيج تحتوي على جامة (صُرّة) في وسطه، ببضية الشكل بوجه عام. وفي كل من اركان ارض السجادة ربع جامة اخرى، وذلك مما يذكّر بالزخارف الايرانية التي نجدتها في العصر الصفوي على بعض ضروب الطنافس الايرانية وفي بعض الجلود والصفحات المذهبة و«الالواح» القاشانية

\*\*\*

والحق ان تأثر السجاجيد المنسوبة الى عشاق بالطراز الايراني جلي واضح. وفي بعض انواع هذه السجاجيد تتكرر الجامات ويختلف حجمها وتعدد اجزاؤها وتتألف احياناً من رسوم صليبية الشكل او شبه نجمية او متعددة الاضلاع. وتحتوي الجامات واجزاء الجامات وسائر ارض السجادة على رسوم فروع نباتية وزخارف عربية «اراسك». اما الاطار فمن شريط متوسط العرض بين شريطين ضيقين، وفي الشريط الاوسط رسوم فروع نباتية ووريقات شجر وزهور. وألوان هذه السجاجيد قوية ويغلب أن تكون أرضها حمراء او حمراء قائمة، وإطارها ازرق قائم. اما رسومها فباللون الاصفر والازرق والاخضر. ويرجع أقدم هذه الطنافس الى القرن السادس عشر ولكن معظمه من القرنين السابع عشر والثامن عشر. وقد جاءت رسومه في الالواح الفنية التي خلفها بعض الفنانين الاوربيين في القرنين المذكورين. ولا غرابة في تأثر تلك السجاجيد بالزخارف الايرانية فالمعروف ان كثيرين من الفنانين الايرانيين قدموا الى تركيا وعملوا في القصور العثمانية، فتلقى عليهم



الفنانون الترك كثيرًا من أساليب الصناعة والزخرفة ولا سيما في التصوير وصناعة الخزف والقاشاني والسجاد. وثمة طنافس منسوبة الى عشاق بعضها للصلاة كما يبدو من الرسم الشبيه بالحرايب في أرضها، وبعضها مسجاجيد صغيرة تصدّر الى البلقان

أما مسجاجيد الصلاة المنسوبة الى عشاق فنادرة. والمشهور منها الآن مسجادتان: الأولى في مجموعة الدكتور علي باشا ابراهيم وهي بين نقائس المعرض الذي نحن بصدده. والثانية في القسم الاسلامي من متاحف الدولة في برلين، وكلتاها ترجع الى بداية القرن السادس عشر. وقوام الزخرفة في التحتين شريط كبير من رسوم السحب الصينية يشغل النصف الاسفل من الساحة الوسطى، ينتهي وبضيق في أدناه ليضم رسمًا هندسيًا. وفي أركان السجادة والجزء الباقي من أرضها رسوم زهور وفروع نباتية ووريقات شجر محرفة عن الطبيعة. واللون الرئيسي في هاتين السجادتين هو الازرق القاتم في الجزء الأكبر من الساحة الوسطى ثم الأحمر والأخضر في الرسوم وفي سائر الساحة. ونسجها خشن، ولكنه لا يعيب من رونق الزخرفة وتناسق الالوان وزهورها. هذا والمعرض يضم احدى عشرة سجادة من الطنافس المنسوبة الى عشاق. وكلها من مجموعة الدكتور علي باشا ابراهيم. وفيها مسجاجيد نادرة لا نكاد نعرف لها مثيلاً حتى في متاحف الحافلة

وعرضت الدار ثلاث مسجاجيد من نوع تركي ينسب الى المصور الالماني هولباين H. Holbein (١٤٩٧-١٥٥٤). واحدى هذه المسجاجيد من مجموعة الدكتور علي باشا ابراهيم، والآخرى من مجموعة السير روبرت جريج. ويمتاز هذا النوع بزخارفه الهندسية البحتة التي يكثر فيها رسوم النجوم وأشباهاها والأشكال الصليبية والمربعات والفروع النباتية المحرفة عن الطبيعة، المرسومة في أسلوب هندسي. أما الاطار فبالغالب أن يكون متوسط العرض وأن تكون زخرفته من رسوم هندسية تقلد الحروف الكوفية. وألوان رسوم هذه الطنافس في الغالب صفر وزرق على أرض حمراء. وقد فقدت الرسوم النباتية فيها كل صلة بالطبيعة، فتمتدح استبانة أصولها

والظاهر ان مسجاجيد هولباين كانت منتشرة جداً في اوروبا خلال النصف الثاني من القرن الخامس عشر والنصف الاول من القرن السادس عشر، فقد ظهرت رسومها في الألواح الفنية التي خلفها بعض أعلام الفنانين في ذلك العصر ولاسيما هولباين Holbein الالماني ولورزو لوتو Lorenzo Lotto البندقي. ويضاف هنا ان متاحف الغربية والمجموعات الفنية الخاصة غنية بهذا النوع من الطنافس التركية. ويظهر من رسومها في الألواح الفنية



الباقية ان نسجها تطوّر قليلاً فانتهى في زخرفة الاطار الى فروع نباتية منطلقة او محبوسة في جامات

وفي القرن السابع عشر وصل تطور الرسوم النباتية في هذه الطنافس بوجه عام الى أن شطّ بعدها عن الطبيعة حتى أصبح فهمها غير ميسور

ومعظم سجاجيد هولباين صغيرة تشبه سجاجيد الصلاة . وثمت ضروب من الطنافس التركية تشبه سجاجيد هولباين في زخارفها الهندسية ، وان كانت تخالفها قليلاً في اختيار الألوان أو في سعة الاطار أو في ازدحام الزخرفة ومساحة الموضوعات الزخرفية وفي هيئاتها . وترجع هذه الطنافس الى القرنين السادس عشر والسابع عشر . ولا يمكن التمييز بين أنواعها المختلفة إلا للاختصاصيين الذين تدرّب بصرهم على تقدير تلك التحف والحكم عليها ، لأن المرجع الأساسي في فهمها ليس الوصف وانما العين الدقيقة والخبرة الواسعة . وليست هذه الأنواع بأسرها ممثلة في المعرض

\*\*\*

وفي المعرض سجادة من مجموعة الدكتور علي باشا ابراهيم ( رقم ١٥ في الدليل ) تنسب الى النوع المعروف باسم الطنافس ذات الطيور . وهو ضرب من السجاجيد زخارفه هندسية ، وأرضه بيضاء وفي النادر صفراء قائمة ، وفيه رسوم زهور ووريدات ورسوم عربية « ارابسك » محرفة عن الطبيعة ويبدو بعضها أحياناً كأنه رسم طير ذي رأسين في اتجاهين مختلفين . والحق انها تشبه طنافس « عشاق » في بعض أماليها الفنية ، ولا سيما رسوم الاطار . ويرجع عصرها الى ما بين نهاية القرن السادس عشر ونصف القرن السابع عشر ، كما يظهر من تاريخ بعض اللوح الفنية التي رسمت فيها (١)

وفي المعرض كذلك سجادتان من مجموعة علي باشا ابراهيم من النوع الذي يعرف باسم الزخرفة الصينية المسماة « تيشنتاماني » والتي تسمى أحياناً زخرفة « البرق والكور » أو زخرفة « السحب والأقمار » ( رقم ١٦ و ١٧ في الدليل ) . وذلك لأن الرسم الذي يتكرر في أرض السجادة يتألف من ثلاث كور على هيئة مثلث وتحته خطان صغيران ضيقان فيهما تخرج بسيط . أما الاطار فتوسط العرض وفيه رسوم سحب صينية وأوراق شجر وزهر أو شبه كتابة كوفية . وأرض هذا النوع من الطنافس بيضاء مساحتها كبيرة في الغالب



أما الطنافس التركية التي تنسب الى دمشق فيمثلها في المعرض ثلاث سجادات، الاولى من مجموعة الدكتور على باشا ابراهيم ، والثانية من دار الآثار العربية ، والثالثة من مجموعة سمو الأمير يوسف كمال . والحق ان الرأي الراجح في دوائر الفنون الاسلامية الآن ان هذا النوع من السجاجيد خرج من المناسج السلطانية التي أنشأها سليمان القانوني في القسطنطينية، ولكنها تنسب الى دمشق لان الزخارف التي تسودها هي عينها التي نعرفها في الخزف والقاشاني المنسوبين الى دمشق في القرن السادس عشر ، والذي كان بعضه على الأقل يصنع في آسيا الصغرى . وقوام تلك الزخارف الفروع النباتية والمراوح النخيلية palmettes وأوراق الشجر والأغصان والزهور والبراعم والخزاي والقرنفل والسوسن

وأرض تلك السجاجيد حمراء ، وموضوعاتها الزخرفية قريبة من أصولها الطبيعية ، ولكنها مكررة ومرتبطة في هيئة متكلفة بعيدة عن الطبيعة . ومع أنها تأثرت بالاساليب الايرانية فان لها طابعاً خاصاً . وتبدو زخارفها البديعة كأنها لوح من القاشاني ذي الألوان البهيجة والزهور الدقيقة ، مما نعرفه في منتجات الطراز التركي في القرنين السادس عشر والسابع عشر

ونمت سجاجيد صلاة من النوع الذي نحن بصدد الآن . وكذلك يطلقون اسم سجاجيد المائدة على نوع منه متوسط المساحة ، مربع الشكل . ومن ضروبه الأخرى المعروفة سجاجيد ليست رسوم النبات والزهور فيها بغالبية على مساحة السجادة ، بل نجد هذه الرسوم في جامعة ( صُتْرَة ) في وسطها ، وفي كل ربع جامعة من أركانها الأربعة وفي الاطار كله . أما سائر الساحة ففيه رسم مكرر قوامه نقطتان بينهما خطان متعرجان (١)

ولا يتسع المقام هنا لأن نعرض لنوع آخر من الطنافس المنسوبة الى دمشق والتي تكثر فيها رسوم النجوم والمناطق الهندسية المتعددة الاضلاع والزخارف النباتية المحرّفة عن الطبيعة ، وتسودها الألوان الحمر والخضر والزرق . فان جلّ علماء الآثار يظنون الآن ان هذا النوع من صناعة مصر فيما بين القرن الخامس عشر والسابع عشر (٢) ، وان كان بعضهم

(١) المرجع السابق ، شكل رقم ٩٤

(٢) راجع مقال الاستاذ زيجفريد ترويل Siegfried Troll عن الطنافس الدمشقية في المجلد الرابع من مجلة Ars Islamica ( سنة ١٩٣٧ ) . . وراجع مقال الاستاذ إردمان K. Erdmann عن الموضوع عينه في المجلد الخامس من المجلة المذكورة



يذهب الى ان الطنافس المنسوبة الى دمشق بأنواعها المختلفة من انتاج مصانع سلطانية قامت في آسيا الصغرى على مقربة من القسطنطينية

\*\*\*

ومن الطنافس المعروضة بضع سجاجيد من النوع المنسوب الى ترانسلفانية ( من رقم ٢١ الى ٢٥ في الدليل ) . والحق أنه يشبه سجاجيد « عشاق » بعض الشيء ، وانما ترجع نسبته لتلك البلاد الى انه كان اكثر الطنافس التركية انتشاراً فيها ، إذ وجد عدد كبير منه في كنائس المجر ورومانية ، حتى ان علماء الفنون الاسلامية رجحوا أنه كان يصنع في الاناضول خصيصاً للتصدير الى شمالي البلقان

ويظهر التأثير بالطراز الفارسي في هذا النوع من الطنافس ، فقوام زخرفته في معظم الأحيان جامة في وسط مساحة السجادة وفي ارباع جامات في أركانها . وقد يحذف رسم الجامة وأجزائها من مساحة السجادة ويستبدل به رسم مشكاة . أما الاطار فمن بحور او مناطق مستطيلة بينها مناطق نجمية الشكل على النحو الذي نعرفه في بعض سجاجيد الصلاة المصنوعة في مدينة كوردهس . وفي الساحة الوسطى والاطار رسوم نباتية وزخارف عربية (ارابسك) محرفة عن الطبيعة . ويرجع هذا النوع من الطنافس الى القرن السابع عشر وفتح الثامن عشر ، كما يتبين من اللوح الفنية الاوربية التي ترد فيها رسوماته ، ومن النصوص المؤرخة على بعض سجاجيده مسجلة تاريخ اهدائها الى احدى الكنائس في اقليم ترانسلفانية (١).

\*\*\*

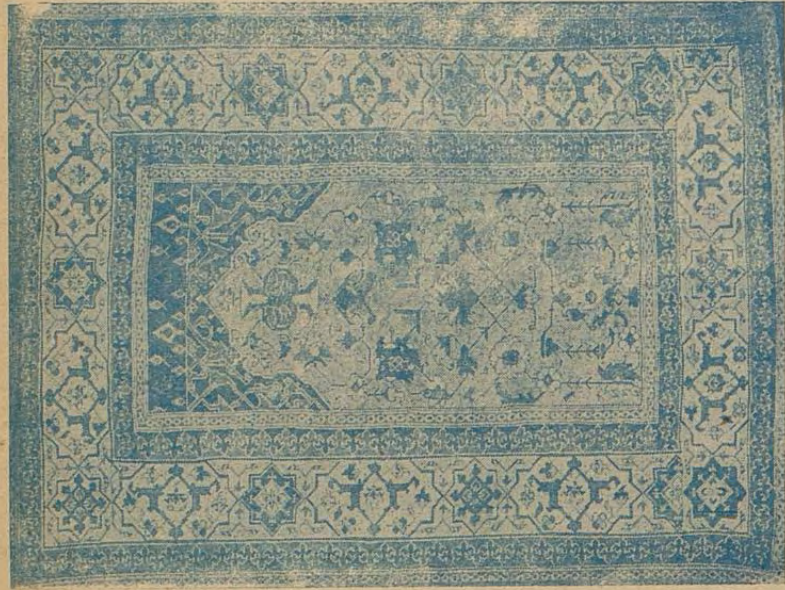
وقد وفقت داو الآثار لان تجمع في هذا المعرض عدداً وافراً من أبدع سجاجيد الصلاة التركية . وكلها من صناعة المناطق الجبلية بالاناضول في القرنين السابع عشر والثامن عشر . وكثير منها دقيق النسيج أرضه حمراء او زرقاء او بيضاء ، ومساحتها صغيرة في أغلب الأحيان ( ٦ أقدام × ٤ أقدام ) . ويمتاز معظمها برسم يمثل محراباً في أرض السجادة . وقد يكون المحراب ذا قوس واحد أو ثلاثة أقواس . وقد تكون له أعمدة وربما حل محلها عصابتان أو عصابت زخرفية رأسية . وقد تتدلى من المحراب مشكاة وربما قام مقامها ابريق أو غير ذلك . ورسوم المحاريب مختلفة ففيها ذو القوس المدب وذو العقد الفارسي . ورسوم

(١) راجع J. de Vegh et Ch. Lager : Tapis turcs provenant des églises et collections de Transylvanie ٣٢





« هولبين » القرن الـ ١٧  
( الرقم ١٤ )



« ترانسلفانية » القرن الـ ١٧  
( الرقم ٢٣ )



الأعمدة قد تتطور حتى تصبح سلاسل أو أشرطة من الزهور والنبات وتبدو كأنها تتدلى من المحراب بدلاً من أن تكون دعامة له ، أما الاطار في تلك السجاجيد فمن عدة أشرطة رفيعة فيها رسوم زهور ووريقات محرفة عن الطبيعة ، مكررة في نظام دقيق

\*\*\*

ومعظم سجاجيد الصلاة التركية النفيسة ينسب الى مدينة كوردهس . أما ما جفّت زخارفه وشطت عن أصولها الطبيعية وخشن نسجه فينسب الى مدينتي قولاً أو لاذيق . وثمت مدن أخرى ينسب اليها بعض أنواع هذه الطنافس ولكننا لا نطمئن كثيراً الى هذه التفرقة الاقليمية لأن أساسها أسماء وضعها التجار بغير تدقيق ولا تمحيص

فالنوع الذي ينسبونه الى كوردهس ( جوردهس ) ( من رقم ٢٧ الى ٥١ في المعرض ) يكون المحراب فيه أصغر منه في سائر أنواع سجاجيد الصلاة ويرتكز على عمودين أو أكثر . وأما الرسوم فدقيقة والألوان شاحبة والنسيج محكم محتبك والاطر ضيق ، وبينه وبين أرض السجادة عدة أشرطة رفيعة . ولهذا النوع من الطنافس فروع لا يتسع المقام للكلام عليها هنا . وحسبنا أن نشير الى بعضها ، مثل الذي كان يهدى الى العرائس ويمتاز باطاره الذي تبدو زخارفه كأنها مثلثات متجاوزة تستقر على قاعدتها تارة وعلى احدى زواياها أخرى ، ومثل سجاجيد « الصف » وهي التي كان أفراد الأسرة الواحدة يصطفون عليها للصلاة ، وهي طويلة ، تشتمل على بضعة محاريب متجاوزة

أما سجاجيد قولاً ( كولا ) فأقل احتباكاً في النسيج ودقة في الرسم ولكنها أكثر توفداً في الألوان . والحق ان الفرق ليس كبيراً بين سجاجيد كوردهس وسجاجيد قولاً . ولكن المسافة بين عمودي المحراب في السجاجيد الاخيرة تزخرف غالباً برسوم زهر ونبات محرفة عن الطبيعة . وكذلك تمتاز سجاجيد كوردهس بأن لها شريطاً فوق الساحة الوسطى وشريطاً تحتها على حين هذا غير موجود في سجاجيد قولاً سوى شريط واحد فوق رسم المحراب . أما أشرطة الاطار فأكثر عدداً في سجاجيد كوردهس

\*\*\*

وفي المعرض مجموعة نفيسة من سجاجيد قولاً بعضها للدكتور علي باشا ابراهيم واحداها من مجموعة السير روبرت جريج والاخرى من مجموعة الدكتور بشر فارس .



(من رقم ٥٢ الى ٧٠ في المعرض) وتترجح تواريخها بين القرن السابع عشر والتاسع عشر

وتمت ضرب من طنافس الصلاة ينسب الى بلدة لاذيق من اعمال مدينة قونية ، ويمتاز بألوانه الزاهية من أخضر وأزرق وأصفر. وفي مساحة الحراب رسم عصوين ورؤوس سهام فضلاً عن سائر رسوم الزهور—ولامياً الزنبق— ولنا عهد بهذه في مساجيد الصلاة التركية (من رقم ٧١ الى ٨١ في المعرض)

وينسب الى ميلاس ضرب من الطنافس يمتاز برسوم في ساحته محرفة عن الطبيعة تمثل شجرة الحياة، وبخانات مستطيلة تحري فيها خطوط متعرجة ، ألوانها الأحمر والأصفر والأزرق والبنفسجي (من رقم ٨٥ الى ٩٠)

أما مساجيد « المودجور » فذوات ألوان فاقعة وإطارات تبدو كأنها مربعات من القاشاني (من رقم ٩١ الى ٩٤)

والى « برغمه » (برجا) وقونية تنسب طنافس صغيرة مربعة يسودها من الألوان الأحمر والأزرق والأبيض ، وتشط رسوماً في البعد عن الطبيعة فتصبح اشكالاً هندسية متعددة الاضلاع . واكبر الظن ان هذه الطنافس كانت تجلب الى اسواق برجا وقونية ، ولكنها من صناعة القبائل البدوية شمالي الاناضول . (من رقم ٩٥ الى ١١٥)

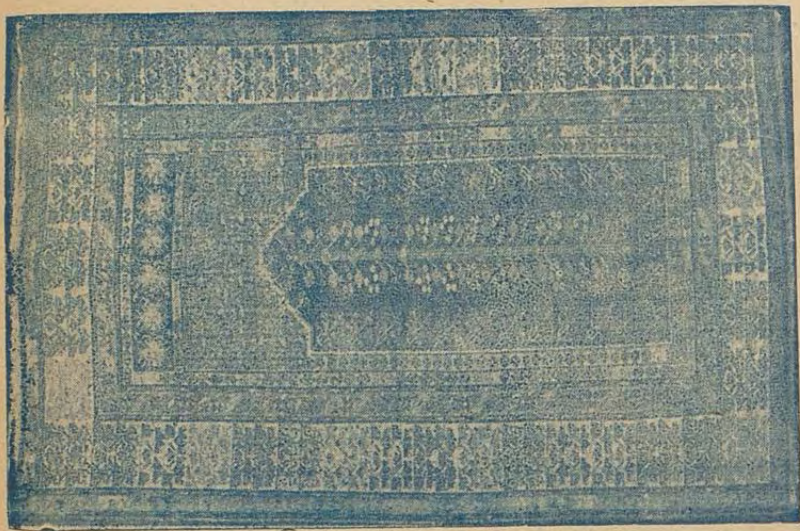
\*\*\*

والحق ان المجال لا يتسع هنا لتفصيل الكلام على شتى انواع الطنافس التركية ، فحسبنا الاشارة الى توفيق الدار لجمع هذه النخبة الحسنة في المعرض وما من شك في ان وصف هذا السجاد لا ينقل صورة واضحة لألوانه وزخارفه . فان ميدان السجاد من ميادين الفنون الاسلامية التي لا تكشفها ولا تفهمها الا العين

\*\*\*

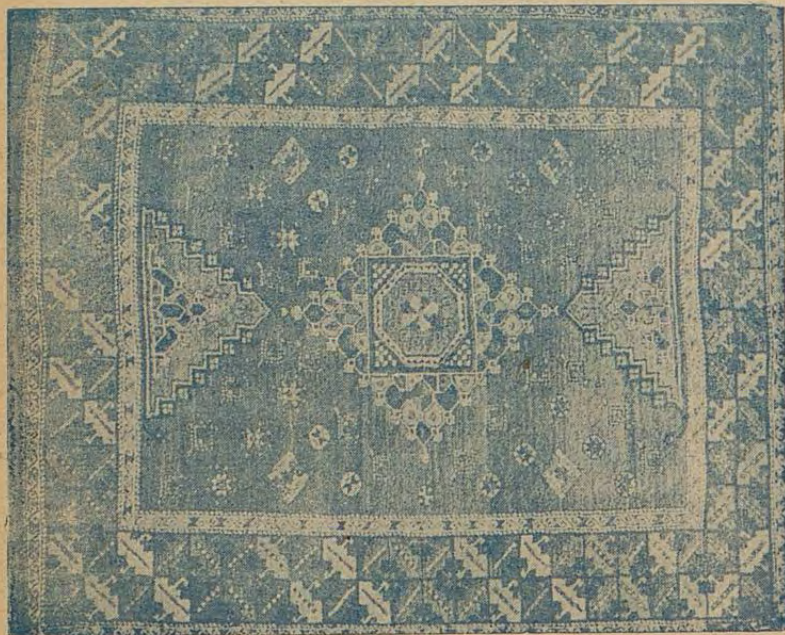
أضف الى ذلك أن علماء الفنون يختلفون أحياناً في نسبة الطنافس التركية المتأخرة الى شتى مراكز الصناعة لأن معظم هذه شارك في انتاج انواع مختلفة ، ولا سيما منذ مال السجاد التركي الى طريق الاضمحلال في القرن التاسع عشر ، فغمضت زخارفه وضاع التباين بين الاطار والساحة الوسطى ، وسادت في الرسوم الاشكال الهندسية ملء الفراغ فحسب





« قولا » القرن الـ ١٧

( الرقم ٥٨ )



« برغمه » القرن الـ ١٨

( الرقم ٩٧ )



## ٢ - الكتب

﴿ الاسلام اليوم ﴾ Islam To - day

نشر : A. J. Arberry and Rom Landau

طبع : Faber and Faber Ltd., London

١٤ × ٢١ ½ ، ٢٦٠ ص ، لندن ١٩٤٢ (١)

رأى مخرجا هذا الكتاب النفيس وناشره - المستر ا. ج. آربري ، والمستر روم لانداو - ان العالم الاسلامي « وحدة منقطعة النظير » في تاريخ الجنس الانساني ، وعلا ذلك بان الاسلام وضع للمسلمين قواعد حياتهم السياسية والاجتماعية والدينية جميعاً ، ورسم لهم النهج في كل باب ، ووجههم وأخذ بأيديهم في كل حلبة ، وبذلك تسنى له ان يتخطى الحواجز الجنسية والقومية والاجتماعية التي لم يكن ثم معدى عن قيامها حائلاً بين طالب علم في مصر ، وفلاح في جاوه ، وتاجر في مراکش ، وصحافي في سورية . وليس أبغض الى الاسلام من التمييز بين الطبقات وتفضيل بعضها على بعض أو رفع واحدة منها فوق أخرى ، على النحو المعهود الذي لا تزال له بقية في اوروبا . ورأيا كذلك ان فكرة « الوحدة الاسلامية » لم تنزل منذ بداية هذا القرن تقوى ويتعاظم اثرها في العلاقات الدولية ، وحسب المرء ان يذكر امعاء بلدان كـ مصر والعراق ومراكش وايران ليدرك ما للشعوب الاسلامية من قيمة وأثر في شؤون العالم

ولذلك أراد ان ينشر على الناس كتاباً يكون فيه الجواب عن مسائل كهذه : هل صار العالم الاسلامي تحت سلطان الغرب ؟ وما هي آماله في العصر الحاضر ؟ وهل أمر الحكم فيه الى الدين ، وإلى أي مدى ؟ وما موقفه من الحرب العالمية ؟

وليس ثمة شكوى من قلة الكتب الموضوعة عن العالم الاسلامي ، ولكن هذا الكتاب أريد به أن يبين علاقة هذا العالم بالحوادث الدولية العصرية ، وأنه لمطمع بعيد حتى في أيام السلام ، فكيف به في زمن حرب تكثر فيها المصاعب والحوائل دون الاتصال بأرجاء هذا العالم الفسيح ؟ ولهذا استكتب الناشران طائفة من العارفين بالبلاد الاسلامية والواقفين على أحوالها وشؤونها ، وجلهم من الانجليز ، ولكن بينهم اثنين من الشرقيين المسلمين



أحدهما الدكتور طه حسين بك وثانيهما السير حسن سهروردي ، فكان من جراء تعدد  
الأقلام وانفراد كل كاتب بفصل ، أن فقد الكتاب وحدة التأليف ، ولكنه صار أعظم  
قيمة لأن كل كاتب اعرف بموضوعه الخاص وأشد توفراً عليه من كاتب واحد يحاول الاحاطة  
بكل موضوع

وقد تناول الكتاب معظم البلاد الاسلامية المستقلة وأكثرت الجماعات المسلمة المهمة ،  
وأهل تركيا لأنها في سنة ١٩٣٨ فصلت الدين عن الدولة ، وألغت التعليم الديني في مدارسها  
وكفت عن تعليم اللغة العربية أيضاً ، وأغلقت التكايا وما إليها ، ولم تدع إلا المساجد لاقامة  
الشعائر . وهذا سبب لا نزاع كافياً لتسوية امالها واسقاطها من عداد الدول الاسلامية ،  
وشبهه بذلك أن تسقط فرنسا من عداد الدول المسيحية من أجل ان الدين والدولة فيها  
مفصولان . ومما يجعل الحقبة في ترك تركيا أضعف ان الكتاب تناول بالبحث طوائف  
اسلامية في بلاد غير مسلمة ، نحو الصين والبلقان وروسية . فعمى أن يتدارك الناشر ان  
هذا النقص في طبعة تالية

ويعيننا من الكتاب ، على وجه الخصوص ، الفصل الذي كتبه الدكتور طه حسين بك عن  
« مصر الحديثة » وهو وجيز لا يعدو ست صفحات وبعض صفحة ، ومن العسير ان يكفي  
للتعريف الوافي بمصر في حاضرها ، وبخاصة اذا أراد الكاتب ان يصل الحاضر بالماضي ،  
ويرد هذا الى ذاك ، ويجعل أحدهما بسبب من الآخر — كما فعل — وانه لنهيج شديد  
في ذاته ، ولكنه يضيق مجال القول في حاضر مصر . ويذهب الدكتور طه بك بحق الى ان  
مصر كانت ، وما زالت ، منذ أقدم العصور تصل الشرق بالغرب ، وتجعل من بلادها ملاذاً  
للحضارة كلما اصطلحت عليها الخطوب وحلت بها النكبات والحن ، وان قدرتها على اداء  
هاتين المهمتين الجليلتين رهن بعوامل ثلاثة : مبلغ رخائها المادي ، وسهولة اتصالها بالعالم  
الخارجي ، وحظ أهلها من الحرية الشخصية . وقد ساق الأمثلة والشواهد ، بإيجاز ، من  
قديم العصور وحديثها . وتراه ، من أول الفصل الى آخره ، لا يزال يكر راجعاً الى العهود  
القديم للقياس والمقارنة والتثليل . ولا شك ان هذا ما يقتضيه التعريف الحسن بروح مصر  
ونزعتها ، او بخصائص هذه الروح ، ولكنه في فصل قصير يجعل التعريف بمصر الحاضرة  
قليل الغناء ، ويحول دون الاحاطة الواجبة بالجوانب المختلفة التي ينبغي ان ترفع قبل العبور  
لقراء غربيين لا يعرفون عن مصر الا النزر اليسير — اذا كانوا يعرفون شيئاً  
ونستأذنه في القول انه بالغ قليلاً في قوله ان مصر آخذة الآن بأسباب نهضة لم تعرف  
منها في تاريخها الطويل . فاما انها آخذة بأسباب نهضة فصحيح ، وأما ان هذه النهضة



لامثيل لها في تاريخها الطويل الحافل فأمل نسأل الله ان يتحقق ، ولكنه ليس أكثر من أمل  
لا زاه يجيز للباحث ، مهما بلغ من اطمئنانه اليه ، ان يسوقه مساق الأمر الواقع  
وقد خص التعليم بجل عنايته ، وكان في هذا على صواب ، فان نهضة التعليم تفضي الى  
النهضة في كل باب آخر ، ولكن قارئ الكتاب حري ان يسأل بعد ان يفرغ من قراءة  
هذا الفصل عن الحالة الاقتصادية والاجتماعية ( وفي جملتها الحركة النسوية ) . وعن الحكم  
ونظامه القائم في البلاد ، وعن الفنون والآداب والصناعات ، والزراعة وغير ذلك مما تقوم  
عليه حياة الأمم . ولو كان الدكتور طه أوجز فيما أطال فيه ، وعُني ولو بالإشارة الى  
هذه النواحي ، لجاء فصله أوفى وأجدى . على ان من حقه علينا ، انصافاً له ، ان نحمد له عنايته  
بهذا التعريف الحسن بخصائص مصر العامة التي لازمتها من قديم الزمان ، وان كان بيانه  
لا يخلو من حماسة الوطني وغيرته على سمعة بلاده ، وليس هذا بعيب في ذاته ، وان كل مصري  
ليشكره له ، ولكن الكتاب لم يوضع للمصريين

ابراهيم عبر القادر المازني

﴿ قوانين الدواوين ﴾ بقلم الاسعد بن مماتي ، الوزير الايوبي

جمعه وحققه : عزيز سوريال عطية

١٧ × ٢٤ ، ٤٦٩ ص ، الجمعية الزراعية الملكية ، القاهرة ١٩٤٣

يعدُّ كتاب « قوانين الدواوين » وثيقة تاريخية عظيمة الخطر لأقسام مصر الجغرافية  
وأحوالها الزراعية ونظام الادارة والحكم فيها في القرن السادس الهجري أيام الدولة الايوبية  
التي لم يصلنا عنها إلا النزر اليسير . وقد كان للمؤلف مشاركة في الدواوين المصرية حتى ولي  
رياستها في عهد الايوبيين . وأضيف اليه ديوان الجيش وديوان المال . فهو عريق في مناصب  
الدولة الكبرى ، ولذا كان لكتابه قيمة كبيرة . فأحادثه عن أحوال الدواوين في مصر هي  
أحاديث الخبير المطلع على الأمور

ومن هنا كان اهتمام المغفور له الامير عمر طوسون بنشر هذا الكتاب عظيماً ، ومقصده  
أن ينتفع به قراء العربية والمهتمون بشؤون الزراعة والتاريخ  
وكان للامير الراحل فضل البدء في تحقيق الكتاب وتنقيحه قبل أعداد أصوله للطبع .  
ولما بلغه أن الدكتور عزيز سوريال عطية ، أستاذ تاريخ العصور الوسطى بجامعة فاروق  
الاول بالاسكندرية معني بهذا الكتاب وكل اليه أمر إنجاز العمل عن حسن تقدير ، فبذل  
الدكتور جهوداً مفضية لم يفت سمو الامير أن يشير اليها في مقدمته للكتاب



ونحن اذا أشدنا بإشارة الامير على الجمعية بنشر الكتاب ، وأشدنا بمجهود سموه في التنقيح زمناً ، وأشدنا كذلك بمجهود الدكتور عزيز سوربال بعدما استقل بالعمل ، فان ذلك كله ليس بما نعلمنا من أن نصرف الى هذا الكتاب المهم عناية خاصة فنقول فيه كلمة لا تنقص من قيمة الجهد المبذول ، بل على الضد من ذلك تسلي من قيمته

والحق ان أصول الكتاب ونسخه الخطية كانت — كما يلوح لي — على حال لا يستقيم معها اخراج الكتاب في سهولة ويسر . ولذلك آثر الدكتور عزيز سوربال أن ينشر النص دون تصويب إلا ما لا بد منه ، معتدراً لذلك بأن يظل الكتاب محتفظاً بقيمته الاثرية أو أسلوبه الأثري . وهذا موضع نظر : فان أقدم مخطوطة للكتاب ليست بخط مؤلفه ابن مماتي بل كتبت بعده بما يزيد على قرن . فما قيمة الاحتفاظ بأسلوب أثري ليس للمؤلف الاصيل يد في مسخه وتحريفه ؟  
والآن نذكر ملاحظتنا :

١ — ﴿ ترجمة المؤلف ﴾ رجع الدكتور الى شذرات ذات قيمة في حياة ابن مماتي في « وفيات الاعيان » و « خطط القريري » و « معجم الأدباء » . ولكن يظهر انه عنت له بعد انجاز الكتاب شذرات أخرى كالوافي بالوفيات للصفدي . وقد وعد بنشرها مستقلة تكملة للكتاب . وما كان أجمل لو أن الناشر استوفى ترجمة ابن مماتي ووضعها في أول الكتاب فلم يعتمد الى الاضافة والتكميل مما يدل على تأخر في الأهمية  
وفي كتاب السلوك للمقريري أشارات موجزة الى ابن مماتي ص ١٠٥ سطر ٤ ص ١٣٨ سطر ١١ ص ١٦٥ سطر ٦ وفيها ذكر القبض عليه وتعليق رجله ، وص ١٩٢ سطر ١٢ وفيها ذكر فراره الى حلب

ونذكر ايضاً انه جاء في السلوك ج ١ ص ٥٨ ذكر للخطير مهذب بن مماتي وقد علق عليه الدكتور محمد مصطفى زيادة ناشر الكتاب بقوله ( لعله ابن مماتي صاحب كتاب قوانين الدواوين ) والصواب انه والده

ولم يتعرض المستشرق نيكلسون لذكر ابن مماتي ، على حين ان الاستاذ « هيوار » ذكره في كتابه المشهور ص ٢٠١ ، وهو يشيد بقيمته الشعرية . على ان القليل الذي وصل الينا من شعره لا يجعلنا نطمئن الى حكم « هيوار » Huart على العلات

ب — ﴿ تحقيق وفاة ابن مماتي ﴾ يذكر الدكتور عزيز ان ابن مماتي توفي بحلب سنة ٦٠٦ هـ نقلاً عن معجم الادباء ، وهذا يوافق ١٨ نوفمبر سنة ١٢٠٩ م . ثم يعود الدكتور عزيز في هامش صفحة ٢٢ من المقدمة فيذكر أن تاريخ وفاته على حسب رواية ابن خلكان هو ٣٠ من



نوفمبر سنة ١٢٠٩ م . وهذا يوافق ما جاء في كتاب « هيوار » . ولكن السيوطي يذكر في « حسن المحاضرة » ج ١ ص ٣٢٥ طبعة الوطن ، أن ابن مماتي توفي سنة ٦١٦ هـ . وهو تاريخ علق عليه الدكتور بكامة « كذا » . ولست أرى ما يمنع صحة هذه الرواية . فقد روى ابن دقاق صاحب كتاب « الانتصار » أبياناً لابن مماتي يمدح فيها الملك الكامل . وهذا الملك استقل بملك مصر في يوم الجمعة ٧ جمادى الآخرة سنة ٦١٥ هـ ( النجوم الزاهرة ج ٦ - ص ٢٢٧ )

والدكتور عزيز يشك في صحة هذه الآيات لا لسبب ظاهر الا أنها تؤيد رواية السيوطي في تاريخ الوفاة

ويلوح لنا ان الدكتور عزيزاً لم يبذل من الجهد في تحقيق وفاة ابن مماتي كل ما هو حقيق بطول أناته وسعة علمه . ولقد رجعت اليها في ابن الاثير طبع أحمد الحلبي سنة ١٣٠٣ هـ فلم أجد لها ذكراً في حوادث سنة ٦٠٦ هـ ولا في سنة ٦١٦ هـ . ورجعت اليها في كتاب « روضة المناظر في اخبار الاوائل والواخر » لابن الشحنة فلم أجد لها ذكراً . ورجعت اليها في « تاريخ أبي الفداء » طبعة دار الطباعة بالقسطنطينية فلم أجد لها أيضاً ذكراً . ومما يشير العجب أن المقرئ في كتاب « السلوك » لم يذكر وفاة ابن مماتي في حوادث سنة ٦٠٦ هـ ، ولكنه ذكر في حوادث سنة ٦٠٧ هـ وفاة يوسف بن الاسعد ابن مماتي . . . .

أما ابن العماد الحنبلي صاحب « شذرات الذهب » فقد ترجم لابن مماتي ترجمة مختصرة ( ج ٥ ص ٢٠ طبعة القدسي ) . وذكره في وفيات سنة ٦٠٦ هـ . وهو ناقل عن ابن خلكان بالتحقيق لانه لم يذكر من مؤلفاته غير الكتابين اللذين ذكرهما ابن خلكان وهما : « نظم سيرة صلاح الدين » و « نظم كتاب كيلة ودمنة »

ج - « ضبط الشعر في الكتاب » الشعر الوارد في المقدمة محرف مكسور في الجملة . ومع ان المؤلف يصحح كلمة في بيت « ليستقيم بها المعنى والوزن » ( ص ٤٦٨ ) فاته أشياء في الشعر الوارد كله ، ففي ص ١٦ ،

منه رأينا الصبح تزدا ن ويزداد انفراسا

وصوابه :

مذ رأينا الصبح يزدا ن ويزداد انفراسا

والنصوب عن « معجم الادباء » طبعة رفاعي لا طبعة مرجوليوث التي رجع اليها الاستاذ عزيز



وفي ص ١٧ ضبط البيت الآتي هكذا :

ورأى أن يرسل الاستسهم بالبرد فراشا  
وصوابه بالبرد بسكون الراء .

وفي ص ١٧ أيضاً :

وأنست الصبي الصبا وأذكرت جهنما  
وصوابه : وأنست الصبي الصبا  
ومن التعريف في الشعر ص ١١

كفر النصراني بعد ما عذروا به دين المسيح  
والصواب : عذروا بمعنى خانوا

وفي ص ١٦ (هذا البيت في هجاء رجل) : —

ففي أفعاله توراً وفي الفاظه بردي

ويضبط الدكتور «تورا» بالثاء المثناة الفوقية . وعلّق في هامش ص ٢٠ مع بعض التمرع :  
في الاصل : « ثورا » . وهو خطأ والصواب « ثورا » بالثاء المثناة . راجع مادة « ثورا »  
« معجم البلدان » طبعة الخانجي وهو نهر بالشام . وقد صنع فيه العماد الأصفهاني بيتاً يقول فيه  
يزيد اشتياقي وينمو كما « يزيد » « ثورا » يثور  
( ويزيد : اسم نهر بالشام أيضاً . )

ويذكر الدكتور بيتين نسباً الى عمارة اليمني حين أمر « شيركوه » النصارى في مصر  
لبلبس الغيار والتعمم بغير عذبة . وهما : —

يا أمد الدين ومَن عدله يحفظ فينا سنة المصطفى  
كفى غياراً شدَّ أوساطنا فما الذي يوجب كشف القفا ؟

وكان يحسن الدكتور ان يحقق هذا ، فظاهر الشعر يوهم أن عمارة كان نصرانياً . وذلك  
لم يقل به أحد ، فهو عريق في الاسلام ( راجع وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٦ ) . والدكتور  
يروي عن ياقوت : « وعبارة ياقوت فيها خلط . وحق هذا الشعر ان يكون لابن ممتي أو  
لابيه المذهب لأنهما كانا غير مسلمين ثم أسلما

د — النظر في المتن \* رجع الناشر في تحقيق أسماء النواحي الى مؤلفات أخرى ،  
وهو سعي جليل . ولو فعل ذلك في أسماء النبات أيضاً لكان أتم . ولو جرى على رسم  
واحد في كتابه لكان أكثر اطراداً وأوفى مراداً . ولكنه تارة يرسم هاتور : هتور ،  
والقراصية : القراصيا ، وزهرة المنثور : المنثور ، وتارة يذكر : التفاح القاسمي ، ثم يعود



فيقول عنه : التفاح الشامي . والصواب القاسمي . ( راجع « نزهة الأنام في محاسن الشام » ) .  
وتارة يذكر : التين البوني ، وهو خطأ وصوابه : البرزي ، نسبة الى برزة ، من متنزهات  
الشام ( راجع ص ٢٦١ من « نزهة الأنام » )

وفي ص ٨١ جاء في متن الكتاب ( — وبها — أي بمصر — الأفيون ، وبها القرط )  
ويفسره الدكتور في الهامش بأنه لجام الفرس ! ! مستعينا في ذلك بالقاموس المحيط . فاما معنى  
قول ابن مماتي بعد ذلك « وليس في الدنيا قرط تشد عليه الخيل الا في مصر » . فهل معنى  
هذا انه ليس في الدنيا لجام تشد عليه الخيل الا في مصر ؟ الحق ان القرط وزان قفل  
نبات شبيه بالرطبة واسم حبه البرسيم ( راجع « المخصص » . ومعنى « تشد » هنا أي تقوى  
عليه الخيل ( راجع « القاموس » مادة : — الشدة )

هـ — ❖ الاخطاء النحوية ❖ أثر الناشر ألا يتعرض لتصويب أخطاء الكتاب النحوية  
واللغوية . ولكنه عمد أحياناً أخرى الى التصويب . فلم لا يجري على قاعدة سواء ؟ وكيف  
يترك الأستاذ الدكتور أمثال هذه الاخطاء من دون تصويب : — « تختلف باختلاف  
سفينه ص ٢٧٦ » . « ومتى وجد شيئاً ص ٣٢٩ » « وأربع مناقيل ص ٣٣١ » و « لهذا الخراج  
ص ٣٤٥ » و « البطة خمسين رطلاً ص ٣٦٥ » . ؟ ان ابن مماتي هو الأديب الشاعر الرئيس  
العين الجليل الكبير المنزلة ( كما نعتة ياقوت ) فكتابه — عندنا — بريء مما تركه الأستاذ  
الدكتور بحجة الابقاء على أسلوبه الأثري وان كانت هذه حجة بعض الناشرين من الأفرنج  
أما الأبيات الناقصة الخلعة في ص ١٧٠ المنسوبة الى أبي الفضل الأدفوي في فضل مدينة  
قوص فلا يحسن تركها على هذه الصورة ، فانها لأبي الفضل الأدفوي مؤلف كتاب « الطالع  
السعيد الجامع لاسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد » . والمتوفى سنة ٧٤٨ هـ وهي مذكورة  
كاملة صحيحة سليمة في كتابه ص ١٥ ( طبع المطبعة الجمالية )

وبعد فهذه ملاحظات لم نبدأ من ذكرها حتى تتم الفائدة للقارئ فيضيفها الى  
جهد الأستاذ الدكتور عطية ، وهو جهد مأموس في ثنايا الكتاب عند مراجعة النسخ  
الخطوطة ومعارضة بعضها ببعض ، وفي آخره عند تدوين المسارد ( الفهارس ) وهي ثمانية  
مقسمة الى فنون مختلفة بين أسماء الأعلام ، والبلدان ، والخلجان والترع والجسور ، والنبات  
والزرع ، فضلاً عن الأقسام الادارية والألقاظ المستعصية . والكتاب أخيراً مرجع نفيس

محمد عبد الغني حسن



﴿ أبو شوشة والموكب ﴾ بقلم محمود تيمور

١٣١ × ١٩ ، ١٠٤ ص ، مطبعة الترقى ، دمشق ١٩٤٣

هذه هي الطبعة الثانية لهاتين المسرحيتين ، وقد ظهرت في دمشق وباللغة الفصحى ، والطبعة الاولى كانت خرجت في مصر باللغة العامية . ولعل هاتين المسرحيتين ولا سيما الاولى خير ما عمل محمود تيمور للمسرح . وقد سبق لنا ان كتبنا في ذلك . وعلى من يريد الاستزادة أن يطالع المقدمة التي صنعها زكي طليمات — الخبير بفن المسرح ظاهره وباطنه — لهاتين المسرحيتين ، فانه نظر فيهما بحذق

\*

﴿ تاريخ بير السبع وقبائلها ﴾ بقلم عارف العارف

١٧ × ٢٤ ، ٣٢٩ ص ، مطبعة بيت المقدس ، القدس ١٩٤٣

يبعث الكتاب في تاريخ البلاد التي تؤلف « قضاء بير السبع » في الوقت الحاضر والتي يحدها من الشمال جبل الخليل ومن الشرق البحر الميت ووادي العربيه ومن الغرب البحر الابيض المتوسط وشبه جزيرة سيناء ومن الجنوب خليج العقبة . ويعتمد المؤلف ثلاثة مراجع : الكتب والاسفار فالطلول والآثار ثم الاحاديث والاخبار . ولكنه يتلقاها بالمراجعة والتحصيل ، وليس المرجع الاول بغزير . وفي الابواب باب في الحروب التي نشبت بين القبائل مع ذكر اسبابها وأيامها . ثم باب تعرض فيه حال بير السبع على تعاقب العصور من زمن الكنعانيين والعموريين والفلسطينيين والمصريين وبني اسرائيل وغيرهم كالانباط والفرس واليونان والروم حتى عهد العرب والصليبيين والأتراك ومن حل محلهم اليوم . ولهذا الكتاب الذي حاول صاحبه ان يجريه مجرى المبحث العلمي مسرد اجتمعت فيه موضوعات الكتاب وأسماء الامكنة والاعلام الواردة

\*

﴿ ما تيسر ﴾ بقلم خليل سكاكيني

مجموعة مقالات وخطب في التربية والاجتماع والسياسة

١٥ × ٢٢ ، ١٣٥ ص ، المطبعة العصرية ، القدس ١٩٤٣

﴿ من يوميات فتاة عصرية ﴾ بقلم حسين مشوقي

١١ ½ × ١٦ ½ ، ١٢٨ ص ، مطبعة المعارف ومكتبتها ، مصر ، ١٩٤٤



### ٣ - المحاضرات

#### ﴿ علاقة مصر بالاجانب ﴾

ألقاها حسن نشأت باشا في قاعة ايوارت مساء ١٧ فبراير سنة ١٩٤٤

استهل المحاضر كلمته بوجوب الدخول في هذا البحث على ضوء العقل ومجانبة العاطفة وتوخي مصلحة الوطن ، وقال عن بلادنا ان الطبيعة خصتها بمركز عظيم جعلتها حلقة الاتصال بين الشرق والغرب

وبذلك عظم شأن الجاليات الاجنبية القديمة من فينيقيين وبعد ذلك من رجال من جنوة وبيزة والبندقية ، وأما اليوم فنرى جاليات تمثل جميع بلاد الغرب والكثير من بلاد الشرق ، وعرض المحاضر لحالة النزلاء في عهد قديمة — (١) العهد الاول ، الى آخر القرن السابع قبل الميلاد وفيه كانت مصر ذات مركز تجاري له اهميته . وذكر فيما ذكر ان رمسيس فتح ابواب مصر على مصراعيها لدخول الاجانب فنزل بها كبار التجار ثم منحوا امتيازات — (٢) العهد الثاني منذ حكم ستماتيك الذي أقام بمصر بموازرة اليونانيين . وبعد ذلك رحل اليهود الى مصر ورحل السوريون عقب حروب ساماري وسنجاريب ثم رحل التجار والعلماء والفلاسفة — (٣) وأيام البطالسة أصبحت مصر المنفذ الرئيسي لتجارة آسيا والهند وافريقية ، وكان يقوم بالتجارة اليونانيون واليهود . وتاريخ هذين الشعبين هو تاريخ الاجانب المقيمين في مصر ايام البطالسة وايام الرومان

النزلاء ايام الحروب الصليبية : فيها قام الايطاليون بالسفارة التجارية فنقلت البضائع الشرقية الى اوربة ، وعلى الرغم من العوائق التي أقامها جان مديسيس . ومنذ القرن الثاني عشر جرت بين بييزة ومصر معاملات تجارية فعقدت معاهدة بين الخليفة الفاطمي اسماعيل الظافر وسفير البطريرق فيلاتوس وقناصل بييزة

النزلاء منذ القرن التاسع عشر الى الآن : في هذه الفترة نزح الى مصر عدد كبير من الاجانب من جنسيات مختلفة ، وأهم الجاليات : البريطانية — الفرنسية — الايطالية — اليونانية — البلجيكية — السويسرية — الاسبانية . . . وأحصى المحاضر النزلاء سنة ١٩٣٧ فكانوا ١٨٦٥١٥ ، وهي أقل نسبة ، ففي سنة ١٩٢٧ مثلاً بلغوا ٢٢٥٦٠٠

ثم أشار الى اكرام الحكومات للاجانب منذ عهد محمد علي ، وأسهب في وصف حالة الاجانب ابتداءً من مايو سنة ١٩٣٧ ، وأشار الى الضمانات في حق الاقامة ورعاية الشركات



الى غير ذلك مما ينزه نيّة الحكومة المصرية . وأوصى أخيراً باكرام وفادة الجاليات ، ثم ختم محاضراته بالجملة البليغة الخالدة « أحرار في بلادنا كرماء لضيوفنا »

بصل محمد عجمي

### ❖ وظيفة الجامعة في العالم الحديث ❖

ألقاها الدكتور ريمونت Lamont أستاذ الفلسفة بكلية الآداب بجامعة  
فؤاد الاول في الجمعية الجغرافية الملكية مساء ٢٣ فبراير سنة ١٩٤٤

عرض المحاضر لنشأة الجامعات في البيئات الدينية المسيحية والاسلامية في العصور الوسطى ثم تحررها من سلطة رجال الدين وبدء اتجاهها نحو الديمقراطية في التربية العلمية والخلقية

وبحث الاستاذ عن هذه المسألة : هل نجحت الجامعات في تأدية رسالتها في القرن التاسع عشر وفتحة القرن العشرين ؟ فقال : أما جامعات بريطانيا فانهما نجحت من ناحية التربية الخلقية لانها نشأت في بيئات اقليمية وذهبت عن طلابها الصفة الجامعية التي ازدهرت في العصور الوسطى حين كان طلاب الجامعة الواحدة من مناطق وأوطان مختلفة وكان بعضهم يؤثر في بعض من حيث تباعد آفاقهم فكراً وتجربة ، وقد ضاع ذلك في الجامعات الاقليمية الجديدة . ثم ان هذه الجامعات حصرت عنايتها في التربية العلمية التي توافق الانقلاب الصناعي وتقدم الآلة

واستثنى المحاضر هنا جامعتي اوكسفورد وكمبرج وجامعات الولايات المتحدة حيث يلتقي طلاب من مناطق متباعدة . ثم أشار الى ما يجري في المانيا إذ يتنقل الطالب بين جامعات شتى رغبة في زيادة تجاربه واتساع مداركه

ثم عرض لمصر وشرح مزايا موقعها الجغرافي وزعامتها لبلاد الشرق العربي فأشار الى ضرورة انشاء عدة جامعات تكون مراكز للثقافة . ولكنه صرح بأنه يخشى اننا اذا فتحنا الباب على مصراعيه ، فكثر عدد الطلاب في الفرقة الواحدة ، ضعفت الصلة بين الطالب وأستاذه فينحدر التثقيف الى نظام المحاضرات العامة

ويلوح ان المقصد من هذه المحاضرة رغبة المحاضر في أن يحث الجامعة على تنمية الصلة بين الاستاذ والطالب لتفلم الجامعة في تربية الشخصية والارشاد الى طرق البحث العلمي القويمة الى جنب توفيقها في مجال العلوم البحتة والتطبيقية

زكي محمد حسن



## ٤ - الذاهيون

« في الذاهيون الاولين من القرون لنا بصائر »

قسّ بن ساعدة

Jean GIRAUDOUX جان جيرودو

فرنسي . ولد سنة ١٨٨٢ وتوفي سنة ١٩٤٤ . جال في أوربة ورحل الى شمالي أميركة . انسلك في وزارة الخارجية . زار روسية والشرق . عين يوم اعلان الحرب على المانية مدير مكتب الدعاية

كانت القصة الفرنسية بعد الحرب الماضية خفيفة الوزن، أضرت بها السرعة . والقصاص الحق وليد الخبرة بالحياة ، والنظرة النضيجة ، والفهم والتوجع . وهذان من توابيع الملابس الطويلة لمحن الانسانية

كان جان جيرودو - وعلى هذه الحال جُلّ إخوانه القصاص - لا يعني إلا بالساعة التي هو فيها : الحاضر جملة الحياة . فلعلّ الحرب الماضية علمتهم جميعاً السخرية بالمستقبل ، لأن الموت في الزمن القريب وربما كان في الغد ، فقيم العناية بما هو آتٍ ؟ وما يكون البقاء ؟ وما يكون العمل الذي لا يفنى ما دام الفناء فينا ؟ ثم بصّرتهم لواحق الحرب أن الأوضاع والمتمثلات والعقائد الى تبدل محيّر ، فما يكون الشعور بالقائم المتصل ؟

من هنا وهناك تلك القصص الخالية من القيمة الدائمة، من الحقيقة الثابتة

مثل هذا اللون من القصص انما يدخل في الأدب العابر والانشاء الذي لا خطر له ، لأنه غير مخموس في تيار الحياة الدفّاقة ، ولا منتزع من وليجة النفس المعقّدة . وليس معنى هذا انه أجنبي عن الفن . فأولئك القصاص عمدوا الى أساليب في البيان أخاذة ، وطرقوا موضوعات منشّطة ، إلا أن شأنها غير عظيم

وامتاز جيرودو - في جانب الموضوعات - بتناول نفسية المرأة على حين انها كالمهمة في الغالب عند اخوانه ، ووصف ملامح فرنسة في قراها ومدنها ، في مهملها وسمائها ، في برج ايفل ، وعالج صلة فرنسة بألمانية فخلل روح هذه ويبيّن متناقضاتها . وصفه جيرودو في كل ذلك الاطمئنان الى عيشة رغد ، والتمتع بسعادة هيّنة ، مما يثبت في قصصه طراوة



الفتى، ونعومة المرفقة، وخفة الشارد، وسداجة المبتمم... تلك حال من حالات النفس يهددها الملل، لذلك ما قويتُ على أن أُلزم قصةً لجيرودو وذهني ظمآن وضميري طلاب. إن الملل الذي يهدد أبطاله من طول النعيم يدلف إلى القارىء، وذلك حتى في قصصه الأخيرة، Choix des Elues مثلاً، حيث أراد أن يغذي العيش الهين بعنصر داخل عليه: الرفق

وأما بيان جيرودو فعناية الفن سواء في الجو الذي يختاره لجري القصة أو في التعبير. أما الجو فبين الواقع والموهوم، إن جيرودو يفكك الواقع ويرسله في كون متخيل كما صنع في Juliette au pays des hommes فيتمسحب معه الخاطر ويشرد الرأي. وأما التعبير فأسلوبه أفواج من الاستعارات الغرائب والتشبيهات الظرائف، تارة متلاحقة وأخرى متشابهة، وفي قصة Suzanne et le Pacifique الشيء الكثير من هذا. كل ذلك يردّ التأليف جملة من البدوات الشوارد، ولكنها بدوات إن لم تكن مثقلة بالتفكير فهي مرهفة، مصقولة. ولا شك أن جيرودو وإخوانه — على رأسهم كوكتو J. Cocteau — ابتدعوا في التعبير وافتنوا في التصوير حتى أنهم ابتكروا أداءً كان اماتذتهم الشعراء، مثل رامبو وأبولينير، مهدوا الطريق إليه

وها هنا مثل من بيان جيرودو (فاتحة قصة... Suzanne)

«كان اليوم، مع هذا، مما لا يحدث فيه شيء، ومما تخرج فيه الكواكب متجاورة لا عمل لها، خروج الدجاج والمطر مستمر، وقد أحسست الكواكب أن الحياة منتظلة راتبة حتى المساء، وكان من دأبها أن تنوعها. وكان كل شيء في السماء: كانت الشمس، وتحت شعار كان القمر. الليل، الصباح، كل شيء كان محضراً على سُمط وضاعة. وكانت ريح الجنوب تقع على ريح الشرق عمودية، وكانت أنسام شمالية غربية جنوبية تلمسك برفق في الزاوية القائمة»

\*\*\*

إن قصص جيرودو قدرها في طراوة الموضوع وطلاوة الأسلوب. ولكن له مسرحيات، وفي بعضها فوق ذلك. ولا أعني تلك التي جعلته المسرحي الرائع — أو كما يقول الفرنسيون à la mode — أو الساحر l'enchanteur، ثم لا أعني تلك التي أداها الممثل لويس جوفيه L. Jouvet أشهراً أو شهوراً متلاحقة، من ذلك مسرحية Amphitryon 38 وقد شهدتها سنة ١٩٢٩ في مسرح Champs Élysées وخرجت منها وأنا أقول: «تلك



حلاوة ١ . ومن ذلك أيضاً آخر مسرحية شهدتها له ، وكان ذلك في مسرح Comédie Française في خريف ١٩٣٨ ، وعنوانها « الزامير » . وما أدري هل طبعت ، لذلك أجملها وألعتها : هي تنقل الفكرة الجائئة في مزامير العهد القديم الى مجرى الحياة الحاضرة . ومدار هذه الفكرة عند جيرودو أن امرأة موزعة القلب تبوح بما يضطرب في دخيلة نفسها بمراى من سيدها ومسمع ، فتخبره غير واعية بأنها تجلله وتحب مع هذا فتى ناعماً ، فلا بد من القطيعة . والمسرحية مجرأة على الطريقة الرمزية المستحدثة : إيماء وتلويح وحديث باطن وغموض لطيف ، إلا أنها اقرب الى المهارة الذهنية منها الى التأثير الدفين

والحق ان المهارة الذهنية الى جنب الثروة واستدعاء الطرائف وفرض الكاتب فننه على العبارة مما يضر بصدق الشعور وبعد الفكر عند جيرودو . ثم ان جيرودو يؤثر الخفة ويطلب الظرف ويقصد الأخذ ، وعلى هذا مسرحياته Ondine ونظائرها . وما أظن أن بهذا يعجب من يكبر شكسبير . غير ان لجيرودو مسرحية Siegfried وقد نقلها من قصة له ، بل له « حرب طروادة لن تكون » La guerre de Troie n'aura pas lieu . فهذه حقاً مسرحية ذات خطر ، وان انبثت في ثناياها عيوب جيرودو ، نحو الحشو والتكلف . هي مسرحية على حسب المفهوم الاغريقي ، ولا مفهوم غيره ، وعليه جرى شكسبير المعلم وراسين وإيسن . وقوام ذلك تناظر قوتين متفاوتين ، احدهما تصرع الأخرى بعد عراكٍ عنيفٍ طويل . وموضوع المسرحية الاخيرة ، في كلمة ، أن حرب طروادة وقعت لسبب تقيفه أعجز سلم القومين وأضاع حلم الرئيسين . وبهذا ردّ جيرودو الى المسرح جوهره النقي ، وهو النضال الخفي العنيف ، والى الناظر متعمته الرفيعة ، أريد الانجذاب المستتر والاغراق في التأمل الصامت ( هل يقرأ أهل المسرح عندنا ؟ ) . ولكن جيرودو أخرج هذه المسرحية ثم عدل الى الخفائف الطرائف ، لأنه المسرحي الرائج فلا بد له من مؤانسة النظارة ، ولا يكون ذلك إلا اذا نزل اليهم

واني ناقل لك هنا بعض مشهد من هذه المسرحية ، وربما فطنت معي الى مسحة شكسبيرية

### الفصل الثاني ، المشهد الثالث عشر

( الرئيسان : أليس واكتور ، يتفاوضان في الصلح )

إكتور — أهذا هو النضال الحق يا أليس ؟

أليس — أجل . النضال الذي منه تنور الحرب أو لا تنور



إك — هل تثور ؟

أل — سنعرف ذلك بعد دقائق خمس

إك — اذا كان النضال في مجال الكلام فخطي قليل

أل — ينجل إلي أنه سيكون في مجال الوزن . كلانا كأنه في كفة ميزان .  
لينطق المثلقال !

إك — وزني ؟ ما أزن يا أليس ؟ وزني رجل فتي ، امرأة فتية ، طفل سيولسد . وزني  
مرح الحياة والاطمئنان اليها . وزني الطفرة نحو الذي هو عادل وطبيعي !

أل — وزني الرجل السكهل ، المرأة في الثلاثين ، الابن الذي أقيسه كل شهر  
بجزّات أجريها في اطار باب القصر . . . ويزعم أبي أنني أفسد المنجور . . . وزني التلذذ  
بالحياة والحذر منها

إك — وزني الصيد والبسالة والوفاء والحب

أل — وزني الاحتشام بين أيدي الآلهة والناس والأشياء

إك — وزني البلوط الذي في أواسط آسيا الصغرى ، كل أشجار البلوط المورقة  
المتكئة ، مبعثرة مع بقرنا المجمعة فوق تلالنا

أل — وزني شجر الزيتون

إك — وزني الباز . أحرق الى الشمس ببصري

أل — وزني البومة

إك — وزني قوم بأسرهم من الفلاحين الدمنين والصناع المجتهدين وآلاف من الحارث  
والمناسج والأكوار والسنادين . . . آه ! فيم هذه الأثقال جميعها تبدو لي ، خجأة ، خفيفة  
أي خفة بين يديك

أل — أزن ما يزن هذا الهواء الذي لا يفسد ولا يرق ، في الشاطئ ، في الجزائر

إك — لم المواصلة ؟ ان الميزان يميل

أل — جهتي ؟ أجل ، لعله كذلك



## ٥ - التعقيب

النقد القويم لا بد منه للتعريف والتطوير ، فلكل من القاريء والكاتب فائدة فيه . لذلك يظفر بمنزلة جليلة في الدوائر العلمية والادبية في البلدان الرفيعة المثقفة . ومن المتبع في تلك الدوائر أن يحترم المؤلف حرية الناقد وعمله

وبعد فقد نشر هنا في العدد الماضي نقد لكتاب ظهر حديثاً ، وجرى النقد على الاسلوب العلمي فكرياً ولغظاً ، فلم يستطع المؤلف المنقود أن يقدر هذا النقد ، فرد في مجلة الرسالة ولم يناقش ما أخذ الناقد الكثيرة المتشعبة بل آثر خطه في التعبير ، ليس من شيمتنا الخوض في مثلها ، والتجأ بعد ذلك الى ما استنكره أولو المكانة والمعرفة ، وقد بعث الينا أحد هؤلاء الافاضل بكامة ننشرها اعلاءً للعلم الراسخ والادب الزيه

## أناة أيها السادة !

لست بالذي يرى لنفسه أن يلقي درساً في وجوب الأناة والتريث فيما يكون بيننا من نقاش وجدل ، وانما أرجو في أدب أن أذكر بعض السادة في العلم والكتابة أن يترفق بعضهم ببعض ، وأن يكون الجدل بينهم بالتي هي أحسن ، فذلك أحرى بالعلماء ، وأدعى الى أن يتقدم بالنقد من يرى ان عنده شيئاً من العلم يفيد التقدم به ، وأمن طريق يقود الى الحق الذي ينشده الكاتب والناقد

أكتب هذه الكامة وقد قرأت ما كان من نقد ورد فيه حدة وعنف بالغ بين الأساتذة الافاضل العقاد واحمد شاكر وبشر فارس ، وقد اعتذرت أولاً عما كان من ذلك بأن الحق يجعل لصاحبه مقالاً ! لكنه وقفني في رد الاستاذ العقاد على الدكتور بشر فارس ما رماه به من « سوء الذوق » بسبب بعض ما جاء بنقده لكتاب « الصديقة بنت الصديق » بمجلة المقتطف ، فقد فهمت منه — ما فهمه كثير غيري — شيئاً يتصل بالناقد وبالشك في السيدة عائشة رضوان الله عليها

اني لم أشرف بعد بصداقة الاستاذين ، ولكنني اعرف لكل منهما حقه من التقدير ومكانته الملحوظة فيما برع فيه ، ولذلك رأيت اني أستطيع أن أقول كلمة حق في اللغة التي آثرها



صاحب « العبقريات » في الرد على صاحب « مباحث عربية » وغيرها من المباحث القيمة الممتعة لا أريد التعرض للمسائل التي دار عليها النقد ، فقد يكفي ما قرأ القارئون للحكم في هذه الناحية ، ولكني أرى من الخير ومن الواجب أن أعرض للغمزة الواضحة التي لقمها الاستاذ العقاد صاحب « العبقريات » في عبارة « سوء الذوق » التي تكررت مرتين

اني اعتقد أنه ليس من مصلحة الدين والعلم والحقيقة أن نستعدي الدين فيما يشجر بيننا من خلاف ، إلا أن يكون الدين هدفاً للعدوان من جاهل أو باغ ، وليس هذا حال الدكتور بشر فارس فيما جرى على لسانه في نقده لكتاب « الصديقة بنت الصديق »

لقد عقب الدكتور بشر على بعض استدلال الاستاذ العقاد على تنزيه السيدة عائشة مما رُميت به بأن هذا استدلال مجتلب ، بل محض ذاتي لأن البشر يتفق لهم أن يزلوا وإن كانوا من أهل التصديق والایمان . ولو قال هذا وسكت لكان حقيقاً باللوم والرمي بأكثر من سوء الذوق ، لكنه قال بعده ما يأتي بنصبه : ( وكيفما كانت الحال فإن قصة الأفك لا تحتاج الى مثل ذلك الاجتهاد . وحسب الباحث المحدث أن يقول ما قاله المؤلف بحق في أول

كلامه على تلك القصة : « تلك شبهة لا تكفي للشك في امرأة من عامة المسلمين ... » ، إذ لو كانت كل امرأة تتأخر في الطريق تؤخذ بالتهمة في دينها وعرضها ، لكانت التهم في الأعراض أهون شيء يخطر على بال . وللمؤلف أن يردف هذا بما يسميه علماء التاريخ النقد الداخلي critique interne ، ومداره تحرري الصحيح من المروي رغبة في تبين أخلاق عائشة وصفوان . فسيرة الصديقة في أيام النبي وبعده تبدو فوق الشبهة ، وأما سيرة صفوان فنزاهة بشهادة الرسول نفسه اذ قال : وقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً ، وما كان يدخل على أهلي إلا معي — عن البخاري ) . اهـ

ألا يكون بهذا قد أبان الدكتور بشر مما في صدره من اجلال لآم المؤمنين ولصفوان ، وابعادهما عن كل ظن وريبة وشبهة يتمسك بها جاهل أو ضال أو مدخول الصدر ؟ ثم قول الاستاذ الدكتور بشر : « هذا الاستدلال مجتلب بل محض ذاتي » — الذي قال أولاً — ألا يؤول بأنه استدلال ان صدقه من يرى لآم المؤمنين النزاهة والجلالة من أجل دينه حسب فقد لا يصدق له من لم يكن كذلك ، وأن الخير لهذا أن نلجأ أو نضيف إليه استدلالاً آخر يؤمن له الجميع ، وهو الاستدلال بالاخبار المروية الصحيحة الموثوق بها التي منها نعرف سيرة الصديقة وسيرة صفوان



من الممكن ان نرى هذا التأويل ، بل من الحق أن تحمل عليه عبارة الدكتور بشر ، وبخاصة أن بقية كلامه يؤكد ويجعله واجبا

\*\*\*

وبعد ، فاني رجل مسلم ، ولكني رأيت الحق يقتضي هذه الكامة ، ومني الى الاستاذ العقاد والدكتور بشر خالص التقدير

محمد يوسف موسى  
المدرس بكلية أصول الدين  
بالجامعة الازهرية



والمقتطف مائل للطبع قرأنا لعالم ثبت وقاض شرعي ، في صحيفة «الوفد المصري» رقم ١٧٧٣ ، كلمة جاء فيها ما يتعلق بهذا الموضوع ، ونحن نثبته هنا :

وبعد فلا نكاد نفرغ من شأن للعقاد حتى يبدو لنا شأن ، فانه يكبر عليه ان يقول له انسان « أخطأت » أو يجادله في كلمة مما يقول ، وانما يريد من الناس الخضوع والتسليم ، أصاب أم أخطأ ، وهو يعرض كتبه على الناس ، وفيها الصحيح الجيد ، وفيها الزيف الباطل ، ولكن هكذا هو !

فقد كتب الأستاذ بشر فارس كلمة في المقتطف قال فيها رأيه في كتاب « الصديقة بنت الصديق » فذكر مزايا رآها في الكتاب وبداله ان ينقده بعض النقاد الهادىء اللين ، فكان العقاد على سجيته ، ثار به ثورته المعروفة ، وقرعه وندد به ، بل أراد ان يوقع بينه وبين قرائه بالتزيد عليه في تحميل كلامه ما لا يحتمل ، وحذف آخره يزعم انه بمهته بأوله

فقد قال العقاد في كتابه (ص ١٠٢) في شأن قصة الافك «على الذي يقبل وشاية كتملك الوشاية الواهية أن يروض عقله على تصديق أمور كثيرة لا موجب لتصديقها . لأنها تنقصر الى كل دليل ، والأدلة على ما يناقضها كثيرة . عليه ان يصدق ان صفوان بن المعطل كان رجلا لا يؤمن بالنبي ولا بأحكام الاسلام . وان يصدق ان السيدة عائشة كانت — وهي زوج النبي — لا تؤمن به ولا تعمل بدينه . ولا دليل على هذا ولا ذاك »



وهذا كلام حق في ذاته لا شبهة فيه ، ولكن الدكتور بشر فارس رأى أنه ليس من نوع البحث العلمي البحت وأنه من نوع الدفاع والحذق في الجدل فقال : « والذي أراه أن هذا الاستدلال محتلب بل محض ذاتي ، وذلك لأننا نعلم من طريق الملاحظة والملاحظة أن البشر يتفق لهم أن يزولوا وإن كانوا من أهل التصديق والایمان . ولولا هذا ما احتاجوا إلى ربٍّ تَوَّابٍ . . . وكيفما كانت الحال فإن قصة الأفك لا تحتاج إلى مثل ذلك الاجتهاد . . . (١) ، فسيرة الصديقة في أيام النبي وبعده تبدو فوق الشبهة ، وأما سيرة صفوان فبرهنة بشهادة الرسول نفسه »

وهذا كلام صحيح أيضاً ، فعائشة في إيمانها ودينها وتقواها ومسيرتها في حياة النبي وبعده فوق مستوى الشبهات ، سيرة الأطهار الأبرار ، ولا يمكن لمنصف أن يفهم من كلام الدكتور بشر غير هذا . ولكن الاستاذ العقاد لم يتورع عن أن يرمي الدكتور بشر بما لا يفهم من كلامه بأي وجه من وجوه التأويل ، فهو يقول ( أي العقاد ) : « وإذا كان لهذا الكاتب عذر من قلة الفهم فكان ينبغي أن يتجنب قلة الذوق لئلا يجمع بين الفقرين السيئين ، وفي واحد منهما كفاية ، فلا يحسب علينا أن نطيل القول في حديث الأفك دفاعاً وتصحيحاً ، وهو يطيل القول فيه للتوهين والتشكيك »

هكذا والله يقول العقاد ، وما ندري أين التوهين والتشكيك في كلام بشر ؟ إلا أن يكون سوء الطوية من العقاد ، والحقد الذي يدفعه إلى أن يرمي كل من تعرض لكلامه وآرائه بغير الاستحسان والتقريض . فان بشرأ لم يخالفه في معنى من المعاني ، وخاصة في تفنيد الأفك من وجهة العقل والخبرة بسيرة السيدة عائشة وطهرها وتقاء تاريخها من كل شائبة ، وأن « سيرتها في أيام النبي وبعده تبدو فوق الشبهة » كما قال بشر

\*\*\*

وما أردت إلى الدفاع عن الاستاذ بشر ، فإنه يعرف كيف يدافع عن نفسه ، ويعرف كيف يقف العقاد عند حده ، وإنما أردت أن أصور عدوان العقاد وطغيانه ، ليحذر الناس من تحريفه الحكم عن مواضعه .

اصمحر محمد رضا كـ



# بَابُ الْإِسْخَابِ الْعِلْمِيَّةِ

## تدرج علم الضوء

حركة ترجمة الكتب العلمية الى اللغة العربية أشدها . ثم أخذ المسلمون في الدرس والتأليف وأخذت العلوم تنمو وتزهر وأعظم علماء الطبيعة وأشهرهم في العصر الاسلامي هو أبو علي الحسن بن الحسن المعروف بابن الهيثم ( ٩٦٥ - ١٠٣٨ ) البصري المولد . وقد رحل ابن الهيثم الى مصر ودخل في خدمة الخليفة الفاطمي الحاكم ( ٩٩٦ - ١٠٢٠ ) ومن أهم بحوث ابن الهيثم بحوثه في علم الضوء . وهي بحوث تدل على مقدرة فائقة في الطرق التجريبية العلمية . وابن الهيثم هو أول من عمل على تصحيح الفكرة التي كانت سائدة عند اليونان عن الطريقة التي نرى بها الأشياء . فقد كان اليونانيون يعتقدون ان شعاع الضوء ينبعث من العين ويقع على الشيء المنظور ، وان الأشياء التي يقع عليها هذا الشعاع يمكن رؤيتها . والتي لا يقع عليها لا ترى . وقد كان ابن الهيثم أول من خطأ هذه النظرية . وقرر ان شعاع الضوء يخرج من الشيء المنظور ، ويقع على العين . وقد قال ابن الهيثم أيضاً ان الابصار هو عبارة عن تكون صور المرئيات على « شبكية العين » ، وان انتقال التأثير الحاصل

تقدم علم الضوء تقدماً محسوساً قبل أن يهل القرن السادس عشر بمئات السنين . فقد بحث فلاسفة اليونان المتقدمون وعلماءهم المتأخرون في علم الضوء . ثم تبعهم العرب فشاركوا بنصيب وافر في تقدم هذا العلم وتدرجه . وقد قيل ان بطليموس -- الذي كان يدرس بالاسكندرية بين عام ١٢٧ وعام ١٥١ بعد الميلاد -- وضع كتاباً في علم الضوء عرفه أهل أوربة بعد ترجمته من العربية في القرن الثاني عشر . وقد احتوى هذا الكتاب على بحوث في انكسار الضوء وفي انعكاس الاشعة الضوئية عند نفوذها في الهواء المحيط بالكرة الارضية . وقد وجد المؤلف انه اذا مرّ الضوء من وسط الى وسط آخر فان زاوية السقوط تناسب زاوية الانكسار . وهذه العلاقة صحيحة تقريباً اذا ما كانت هاتان الزاويتان صغيرتين

ولم يثبت لنا التاريخ ان علم الضوء قد تقدم تقدماً يذكر منذ عهد اليونان حتى بدأت النهضة العلمية الاسلامية في القرن الثامن وحين ابتدئ في النظر في الكتب اليونانية العلمية وفي نقلها . ففي عصر هارون الرشيد ، وهو أشهر الخلفاء العباسيين ، بلغت



اللاتينية لكتاب ابن الهيثم في هذا العلم . وقد شرح باكون قوانين انعكاس الأشعة الضوئية . وكذلك النظرية العامة لانكساره ويقال انه كان على علم بالمرايا والعدسات ، وانه وضع نظرية في حدوث « قوس قزح » كمثل في التعليل العلمي الصحيح المبني على الاستنتاج

ومن أجل البحوث التي تقدم بها عالم في علم الضوء بحوث العالم البريطاني ارنست اسحق نيوتن ( ١٦٤٢ — ١٧٢٧ ) ( المنشرة العالمية الشهرية العدد ٢٢ مايو سنة ١٩٤٣ ) . وقد قيل « لو ان نيوتن لم يقدم للعالم إلا بحوثه في علم الضوء لسكانت منزلته بين العلماء منزلة النابيين المتفوقين منهم » . ولكن كما بينا في نشرتنا السابقة . وكما سنبين لقراءنا في الاعداد التالية . فان بحوث نيوتن في فروع العلوم المختلفة عديدة ولا تقل في أهميتها عن بحوثه في علم الضوء « المنشرة الشهرية العالمية »

### المستقبل للملاريا

الطيور أن الطفيلي يتطور في الخلايا المسطحة الشبكية في الطحال من نخاع العظم وفي الخلايا الشعرية في المخ . وذلك قبل أن يصل الى خلايا الدم . فلعل الابحاث القادمة تستطيع أن توقف المرض في دوره الأول اما الآن فيجب أن نعتمد على مقاومة البعوض واصطياد اليرقات ويجب ان لا نترأخى في محاربتها معاً

يكون بوساطة العصب البصري الى المخ وقد شغف ابن الهيثم بكل ما له علاقة بالبصريات . فاستعمل المرايا الكرية والمرايا المسكافة . وقد بحث في ما يسمى « بالزيف الكري » أي ان الاشعة المتوازية اذا وقعت على سطح مرآة كرية لا تتلاقى بعد انعكاسها في نقطة واحدة . وقد درس قوة التكبير في العدسات . ثم بحث أيضاً في انكسار الاشعة الضوئية عند نفوذها في الهواء المحيط بالكرة الأرضية . ثم استعمل ابن الهيثم الطرق الحسابية في توضيح الكثير من المسائل الضوئية . هذا مجمل عما أسداه ابن الهيثم لعلم الضوء . ولكن مما لا شك فيه ان مؤلفه في الضوء بعد ترجمته الى اللغة اليونانية قد ساهم بنصيب وافر في تقدم العلوم عند أهل الغرب ، وبالأخص على يدي روجر باكون وكبلر وربما كان شغف روجر باكون بعلم الضوء نتيجة لدراسة وتتبصع ما ورد في الترجمة

لقد تنبأ الدكتور ماك دوويل هامون الامتاذ بمدرسة الطب بجامعة كاليفورنيا بأن غارة عنيفة ستشن على الملاريا في المستقبل ، الغرض منها مكافحة المرض في الايام الستة الاولى بين عضلة البعوض الملوثة بالميكروب وبين ظهور المرض في خلايا الدم . هذا الدور هو ما يدرسه العلماء الآن ولقد أثبتت الدراسات على الملاريا في



## طبيعة الشمس وعرضها بالسينما

تصويراً فوتوغرافياً من أماكن مختلفة على سطح الأرض ، وفي أوقات مختلفة طوال العام السنوي ثم يمكن أيضاً ملاحظة مناطق الكلف الشمسية وهي تقرب من خط الاستواء. فيكثر عددها وينقل خلال احد عشر عاماً . اما عن تاريخ جماعات الكلف الشمسية وعلاقتها بتلك الرقع الزاهية flocculi التي توجد على سطح الشمس ، والتي تكون في الغالب على مقربة من الكلف الشمسية ، فيمكن عرض كل هذا بصور سينمائية مكبرة مأخوذة عن كشب . ثم يعرض في هذا الفلم أيضاً كسوف الشمس ، والصور الاكليلية ، ثم يتبع ذلك عرض ما تقوم به المراصد من اعمال في الوقت الحاضر ، واستعراض ما تقدمت به من كشوف في الماضي . ويعتقد الاستاذ شامان ان اخراج فلم كهذا لا بد منه ، وانه يجب على علماء الفلك العمل على البدء فيه حتى يكو نوا على استعداد لعرضه للجمهور في انحاء العالم المختلفة. عقب انتهاء الحرب العالمية الحاضرة . ويخص بالذكر الاستاذ شامان « جمعية الفلك العالمية » « واللجنة العالمية للتقدم العلمي » . ويشير الى ضرورة اهتمامها بتنفيذ هذا المشروع القيم « النشرة الشهرية العلمية »

قال الاستاذ شامان في حديثه الافتتاحي بصفته رئيساً للجمعية الفلكية بلندن ، في جلستها التي عقدت في شهر مايو الماضي ، انه من الممكن ، بل من اللازم ، العمل على تقديم الكشوف الحديثة في « الطبيعة الشمسية » ، بطرق جذابة يقبل عليها الشعب ، فيستمتع برؤيتها ، ويستفيد من الاغناء الى تفسير الشارح لها . ويمكن الوصول الى هذا المأرب باستخدام الافلام السينمائية الملونة . فاذا تعاونت الهيئات المختصة في بعض المراصد على العمل في هذا المضمار ، أيمكنها اخراج فلم ملون ممتع ، يعرض على الشاشة البيضاء مدة ساعة أو أقل . ويعطي للنظارة فكرة عامة شاملة ، عن دورة أو أكثر من دورات كلف الشمس Sun spots . ولا شك في أن اخراج فلم كهذا يعطي أفراد الشعب عامة ، والأطفال خاصة ، فكرة للتعرف منها عن الكيفية التي كشف بها غاليليو الدورة الشمسية ، وعن ظهور الكلف الشمسية واختفائها

\*\*\*

ثم يمكن للنظارة أيضاً رؤية التغير الذي يحدث في محور الشمس ، وقت تصويره



## فهرس الجزء الثالث

من المجلد الرابع بعد المائة

٢٠٩	بعد الحرب ... ماذا؟ : لقؤاد صروف
٢١٧	رسالة الطب في الحياة : لسعادة الدكتور سليمان عزمي باشا
٢٢٣	الامير عمر طوسون كما عرفته : حديث لسعادة قؤاد اباطة باشا
٢٢٩	اللغة القبطية نشأتها وتطورها : للدكتور باهور لبیب
٢٣٢	القوى الخلقية للموسيقى : لعثمان علي عسل
٢٣٨	الحيوان النسمي : للاب انستاس ماري الكرملي
٢٤٢	المآصر في بلاد الروم والاسلام : لميخائيل عواد
٢٤٩	كف القرد (قصة) : لوديع فلسطين
٢٥٩	الدين والفلسفة — الخصومة بينهما في المغرب : لمحمد يوسف موسى
٢٦٥	عمر الخيام كما أعرفه : لمحمود المنجوري
٢٧٣	فلاسفة الرواق : للدكتور عثمان امين

٢٧٩	باب المراسلة والمناظرة * مدى الرؤية من الطيارة : لنقولا الحداد
-----	--

### باب التعريف والتنقيب

١ —	الفنون الرفيعة
٢ —	الكتب
٣ —	المحاضرات
٤ —	الذاهبون
٥ —	التعقيب

راجع « مشتمل » الباب ص ٢٨٢

٣١١	باب الاخبار العاصية * تدرج علم الضوء . مستقبل الملاويا . طبيعة الشمس وعرضها بالسينما
-----	--